الفنون

مجلة ادبية تصدر مرة في كل شهر

رئيس تحريرها — نسيب عريضه

مدير اعمالها — راغب متراج

قيمة الاشتراك = خمسة ريالات اميركية لسنة. وثلاثة ريالات عن نصف سنة. وريال ونصف عن ثلاثة أشهر. ونصف ريال عن شهر واحد. والدفع سلفاً.

AL-FUNOON
72 TRINITY PLACE
NEW YORK

من الادارة

نعلن القراء ان ادارة تحرير المجلة لا تقسر الادباء الذين يتطوعون لمساعدتها في التحرير علَى اتخاذ مبادىء المجلة ونظراتها قاعدة لهم يمشون بموجبها . ولذلك فقد يحدث ان ننشر ابحاثاً شتى فيها ما يغاير آراءنا في تقدير بعض الاشياء او انتقاد بعض الامور .

*****

حازت الاكثرية في التصويت الشهري لعدد شباط مقالة « ليلة راس السنة » لامين مشرق . وحازت الاكثرية في الشعر قصيدة « النهر المتجمد » لميخائيل نعيمه .

*****

ادارة الفنون بحاجة الى اعداد السنة الثانية او ٢ و ٤ و٧ و٨ و٩ ولاسيما الاخيرين منها فمن كان بغنى عنها فليتكرم بارسالها الى الادارة فتدفع له الثمن نقداً او مقايضة حسب طلبه

— اهداء الفنون —

من طانيوس عفيش — الى ارثر معلوف في بوسطن ، ماس

ومن محمد جميل ربيع — الى محمود محمد سلوم في الارجنتين

ومن سليم بريدي في كوستاريكا — الى نقولا جبرائيل بريدي في البرازيل

ومن ابرهيم سعيد اندونيه — الى قواص اخوان في هندوراس

*****

اضطررنا لضيق نطاق هذا الجزء ان نرجىء نشر آراء القراء والصحف في الفنون الى العدد القادم . فنثني علَى غيرة مناصرينا ونرجو منهم معذرة وامهالاً

المباراة الادبية

وجوائز الفنون

ابتدأت المباراة الادبية علَى صفحات الفنون بعدد ايلول الماضي وستنتهي بعدد آب سنة ١٩١٧ ، فينال جوائزها ثلاثة من الادباء

الجائزة الاولى — مائة ريال — لصاحب المقالة الاولى في الفوز

الجائزة الثانية — ٥٠ ريالاً — لصاحب المقالة الثانية في الفوز

الجائزة الثالثة — ٢٥ ريالاً — لصاحب القصيدة الفائزة

(الحكم بالجوائز) حين يصل عدد الفنون الى المشتركين يستطيع كل منهم بعد قراءته ان ينتخب منه المقالة التي تعجبه والقصيدة التي تنال استحسانه فيصوّت لها ويرسل حكمه الى ادارة المجلة كل شهر بشرط ان يكون دافعاً بدل الاشتراك سواء كان شهرياً او سنوياً فلما تنتهي الاصوات الى الادارة تعلن اسم الفائز بموجبها في العدد الذي يلي التالي . ومتى انتهت السنة تعيد الفنون نشر اسماء الفائزين في التصويت الشهري ويصير انتخاب ثلاثة منهم لتدفع اليهم الجوائز .

(شروط المباراة) لكي يصح الحكم بالجائزة لاية مقالة او قصيدة يجب ان تكون مبتكرة غير منقولة عن لغة اجنبية او منشورة سابقاً ، ولان تصل الى الادارة تباعاً بأسرع ما يمكن وميعاد آخر ما يقبل منها ١ تموز سنة ١٩١٧ .

وللادارة الحق ان ترفض نشر ما لا تراه صالحاً للنشر .

*****

لا تنسَ ان تعطي صوتك كل شهر لمن تستحسن كتاباته

حديث وجيز

أأنت من مدخني السيكارات ؟

اذا أجبت « بنعم » فهاك سوءالاً آخر .

مـا هو النوع الذي تدخنه ؟ — وقبل ان نسمع جوابك نسألك ان تسمح لنا ان نقول

إذا كنت تدخن السيكا رات البرصونية فلا حاجة لشرحنا لك عنها ، وان كنت تدخن غيرها فجربها وقابل بينها وبين سواها

السيكارات البرصونية مصنوعة من التبغ التركي الخالي من الغش

انها من اقدم واشهر انواع السيكارات المعروفة ، ومدخنوها يشهدون لها بجودة وسلاسة طعم دخانها .

وانك تحصل عليها متى شئت فاطلبها تجدها لديك حالاً .

A. N Barson & Co.

40 West Street New York

الى تجار اميركا الجنوبية

— محل ميخائيل عريضه في نيويورك —

قد وسع دائرة اشغاله المعروفة واصبح يتعاطى تصدير البضائع الاميركية من جميع اصنافها الى سائر الانحاء

وهو مستعد

أن يقوم بخدمة كل المحال التجارية السورية في اميركا الجنوبية والوسطى وجزائرها استعداداً يرضي اصحاب البيوت الكبيرة والصغيرة التجارية

مقدرة هذا المحل المالية ،

وخبرته بالسوق الحالية ،

ومعرفته الاصناف المرغوبة ،

وتسوقه البضائع من معاملها رأساً ،

جعلته ان يحوز ثقة كثير من المحال التجارية الكبرى في اميركا الجنوبية في وقت قصير

فاكتب اليه

مستعلماً — أو مستشيراً — أو طالباً — أو مجرباً .

ولك الخيار بعد ذلك ان تعامله او تعامل سواه

MICHAEL N. ARIDA

118 W. 22nd Street New York

الزيتون في كاليفورنيا

ذوقوا واحكموا

ليس من ينكر كثرة الصعوبات التي نصادفها من جراء الحرب الاوربية بانقطاع المواد الغذائية السورية عن هذه البلاد الاميركية · ولما كنا قد اعتدنا في السابق ان نحصل عَلَى كل اصناف السمانة العربية من سوريا لم نعد نبالي بالاهتمام لايجادها هنا مع ما كنا نتحمله من الصعوبات والمصارفات في مسألة الشحن · عَلَى انه وقد حالت الظروف في هذه الايام دون الحصول عَلَى متمنياتنا وسدّت الطرق من كل جانب في وجوهنا فتوهم ابناء الوطن ان لا لذة تعادل لذة الواردات الوطنية وجدنا غب الامتحانات والاهتمامات التي نجريها دائماً وحباً براحة وخدمة عملائنا الكرام طريقاً لارضائهم فقد ذهب احدنا الى كاليفورنيا حيث اهتمّ بضمانة كروم الزيتون هناك وصرنا نستورده الى محلنا الخاص فنخرج من انواعه زيتوناً اسود ومرصوصاً بزعتر ومن كان في شك فما عليه الا التجربة كما وانه عندنا جميع انواع السمانة السورية وسائر المشروبات الروحية وهذا عنواننا ·

تامر كنعان معلوف وشركاه

T. K. MALOUF & Co.

79 Washington St. New York

— مكتبة الشعب في لورنس ماس —

(لصاحبها خليل فارس المنير أنشئت سنة ١٩١٠)

بعونه تعالى وبهمة ابناء الوطن الكرام قد اصبحت مكتبة الشعب عروسة المكاتب العربية الشهيرة في المهجر وهي الان حاوية عَلَى جميع اجناس الكتب العربية والانكليزية من تواريخ وروايات غرامية وادبية ودينية وقصص فكاهية وكتب اسلامية عَلَى اختلاف انواعها نصرفها باسعار زهيدة ترضي من يريد ان يجرب معاملتنا وعَلَى الله الاتكال ·

K. F. MONAYER

305 Oak St. **Lawrence, Mass.**

في حياتك الزوجية

— اعلان مفيد —

السيدة الحاذقة ملكه نفش هي قابلة رسمية حائزة عَلَى الشهادة من حكومة نيويورك في فن التوليد · وقد مارست عملها بنجاح مدة سنوات طويلة اكتسبت بها اقبال الجمهور ورضاهم ·

وهي تنشر هذا الاعلان لتعلم الجمهور انها مستعدة لتلبية كل سيدة ليست قادرة عَلَى الدفع · وهذا عنوانها ·

—(ملكه نفش)—

98 Court St. Brooklyn, N. Y.

—(المنار)—

مجلة شهرية تصدر في القاهرة تبحث في فلسفة الدين الاسلامي وشؤون الاجتماع والعمران لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

اشتراكها خمسة دولارات في الولايات المتحدة

— وكيلها —

السيد احمد ذيب الباقوني وعنوانه

A. D. Bacony Princeton,

محل حداد وعطيه

اذا كنت بحاجة الى ورق للف او خيطان او علب كرتون او اكياس او اي جنس كان من الورق وما يصنع منه · او اذا كنت بحاجة الى ورق مكاتيب ومغلفات ودفاتر وكل لزوم المحلات التجارية خابرنا اولاً ونحن نرضيك بالاسعار والمعاملة والاجناس الجيدة · كل هذه الاصناف موجودة عندنا بكميات كبيرة دائماً ومن كل القياسات ·

كذا لك نعلن الذين خارج الولايات المتحدة اننا نشحن الورق الى اي جهة كانت بكميات كبيرة او صغيرة وخصوصاً الى اميركا الوسطى والجنوبية ومصر · اطلبوا الاسعار مع كافة التعليمات ·

HADDAD & ATEYEH

84-86 Washington St., New York City

بدران اخوان

والهجوم الروسي

ان روسيا في هذه الحرب العظمى قد برهنت عَلَى قوة واقتدار كانا كامنين في جسمها الواسع وشعبها الامين · ولا غرو ان امة أخرجت من احشائها رجالاً عظاماً منهم القواد سوفوروف وكوتوزوف ومنشيكوف وسكوبيليف والغراندوق نقولا وبروسيلوف والفلاسفة تولستوي وسولوفيوف وباكونين والكتبة المتفننين تورغينيف ودوستويفسكي وتشيخوف وغوغل والمصلحين العظام بطرس الاكبر وسبيرانسكي وكاترينا الثانية وغيرهم من المشاهير لهي امة جديرة بان تبدو منها القوة الطاحنة

ونحن قد اظهرنا في عالم التجارة من الثبات والقوة ما جعلنا ان ندحر اعظم الصعوبات · وبذلك قد برهنا عَلَى اقتدارنا التجاري كما برهنت روسيا عَلَى اقتدارها الحربي · ونحن مستعدون ان نلبي طلب كل عميل ونرضيه كما ان روسيا مستعدة ان تكتسح بلاد اعداءها ولو بغير رضى · اما بضائعنا المذخورة فهي من قمصان النوم والانفلب شميز والكورست كفر تطريز اليد والوست والكمونا عَلَى اختلاف انواعها والملبوسات النسائية كافة

BADRAN BROS.

87 Greenwich Street New York

STATEMENT OF THE OWNERSHP, MANAGEMENT, CIRCULATION, ETC., REQUIRED BY THE ACT OF CONGRESS OF AUGUST 24, 1912,

of AL - FUNOON Published Monthly

at New York, N. Y. for April 1, 1917.

STATE OF New York,

COUNTY OF New York,

Before me, a COMMISSINOER OF DEEDS in and for the State and county, aforesaid personally appeared Rageb Mitrage who, having been duly sworn according to law, deposes and says that he is the business manager of the Al-Funoon and that the following is, to the best of his knowledge and belief, a true Statement of the ownership, management (and if a daily paper, the circulation), etc., of the aforesaid publication for the date shown in the above caption, required by the Act of August 24, 1912, embodied in section 443, Postal Laws and Regulations, printed on the reverse of this form, to wit:

1. That the names and addresses of the publisher, editor, managing editor and business managers are:

	Name of:	Post Office Address:
Publisher	Al - Funoon Publishing Co.	55 Broadway, New York, N. Y.
Editor	NASSEEB ARIDA	55 Broadway, New York, N. Y.
Managing Editor	NASSEEB ARIDA	55 Broadway, New York, N. Y.
Buisness Managers	RAGEB MITRAGE	55 Broadway, New York, N. Y.

2. That the owners are: (Give names and addresses of individual owners, or, if a corporation, give its name and the names and addresses of stockholders owning or holding 1 per cent or more of the total amount of stock.)

RAGEB MITRAGE 55 Broadway, New York' N. Y.

3. That the known bondholders, and mortgagees, and security holders owning or holding 1 per cent or more of total amount of bonds, mortgages, or other securities are: (If there are none so state)

None

4. That the two paragraphs next above, giving the names of the owners, stockholders, and security holders, if any, contain not only the lis of stockholders and security holders as they appear upon the books of the company but also, in cases where the stockholder or security holder appears upon the books of the company as trustee or in any other fiduciary relation, the name of the person or corporation for whom such trustee is acting, is given; also that the said two paragraphs contain statements embracing affiant's full knowledge and belief as to the circumstances and conditions under which stockholders and security holders who don't appear upon the books of the company as trustees, hold stock and securities in a capacity other than that of a bona fide owner; and this affiant has no reason to believe that any other person, association, or corporation has any interest direct or indirect in the said stock, bonds, or other securities than as so stated by him

(SIGNED) RAGEB MITRAGE

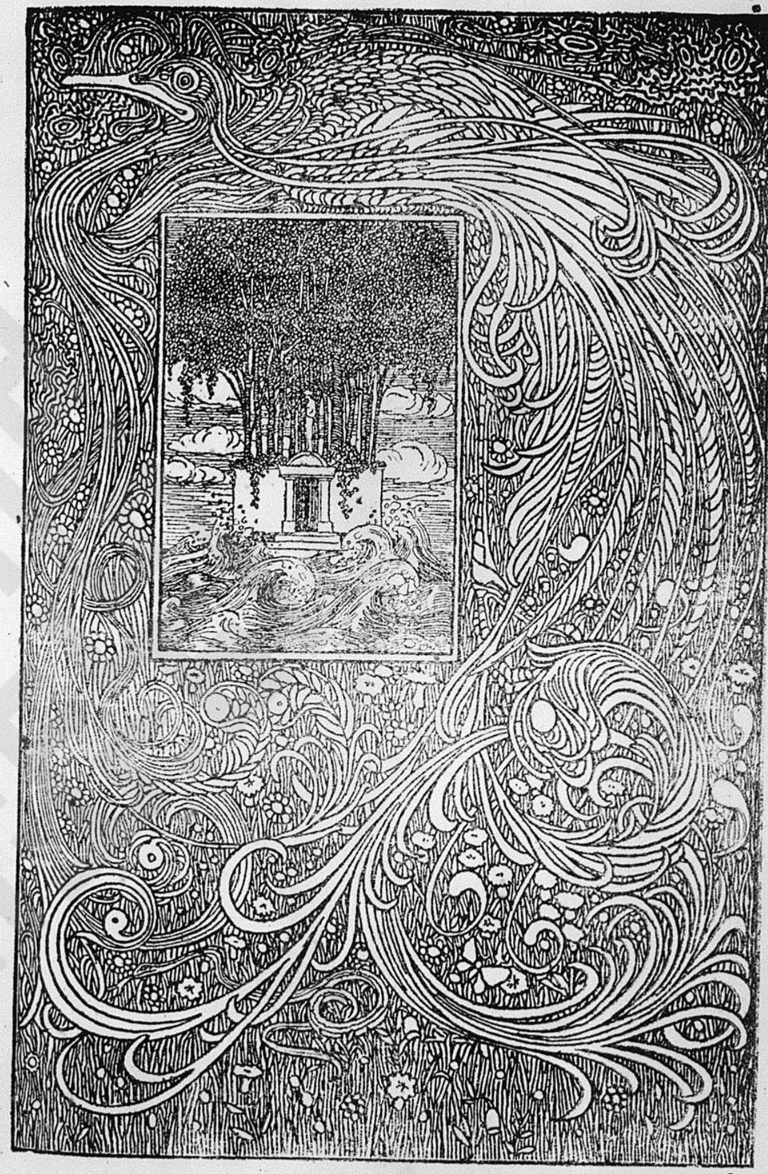
Sworn to and subscribed before me this 3rb day of April 1917.

(Signed) *BERNARD ST. JOHN ACKERMAN*

(Seal) *Commissioner of Deeds*

New York County Clerks No. 1068

Commission expires Oct. 25th 1917



الفنون

معرض فنون وأدب

تنشر المنتخب من أدب الافرنج والعرب

محتويات الجزء

— الصور المطبوعة على حدة —



الحزن = للمصور لينغنر

الله

لجبران خليل جبران

* * *

في قديم الازمنة لما ارتعشت شفتاي بالنطق لاول مرة صعدت الى الجبل المقدس وناجيت الله قائلاً —

« انا عبدك يا ربي ، ومشيئتك الخفية صراطي · وسأبقى مطيعاً لك الى أبد الآبدين »

فلم يجبني الله بل مرّ كعاصفة هوجاء واختفى عن ناظري ·

وبعد الف سنة صعدت ثانية الى الجبل المقدس وكلمت الله قائلاً —

« انا صنع يديك يا خالقي · من تراب الارض جبلتني ، وبنسمة من روحك القدسية أحييتني فانا لك بكليتي »

فلم يجبني الله ، بل مرّ مجتازاً كحفيف اجنحة كثيرة وتوارى عن الابصار ·

وبعد الف سنة صعدت ثالثة الى الجبل المقدس وكلمت الله قائلاً —

« انا ابنك يا أبتِ بالحب والحنان ولدتني ، وبالحب والعبادة سأرث ملكوتك . »

فلم يجبني الله بل توارى كالضباب الذي يغشي التلال البعيدة .

وبعد الف سنة صعدت رابعة الى الجبل المقدس وكلمت الله قائلاً —

« الهي ، ومقصدي ، وكمالي — انا أمسك وأنت غدي. انا عروق لك في التراب وانت ازاهر لي في السماء ونحن ننمو سوية امام وجه الشمس »

فعطف اذ ذاك الله نحوي وهمس في أذنيَّ كلمات عذبة علوية ، وكبحرٍ يضم جدولاً جارياً اليه هكذا ضمني الله اليه .

ولما انحدرت الى الاودية والسهول وجدت الله هنالك ايضاً .

جبران خليل جبران

من أنت يانفسي

لخائيل نعيمه

ان رأيتِ البحر يطغى　　الموج فيه ويثور ،
أو سمعتِ البحر يبكي　　عند اقدام الصخور ،
ترقبي الموج الى ان　　يحبس الموج هديره
وتناجي البحر حتى　　يسمع البحر زفيره
راجعاً منكِ اليه
— هل من الامواج جئتِ ؟

انسمعتِ الرعد يدوي　　بين طيَّات الغمام
او رأيت البرق يفري　　سيفه جيش الظلام ،
ترصدي البرق الى ان　　تخطفي منه لظاه ،
ويكف الرعد لكن　　تاركاً فيك صداه .

هل من البرق انفصلتِ ؟
— أم مع الرعدِ انحدرتِ ؟

ان رأيت الريح تذري — الثلج عن روس الجبال ،

أو سمعت الريح تعوي في الدجى بين التلال ،
تسكن الريح وتبقي باشتياقٍ صاغيه
واناديك ولكن أنت عني قاصيه
في محيط لا اراه
— هل من الريح وُلدتِ ؟

ان رأيت الفجر يمشي خلسةً بين النجوم
ويوشي جبةَ الليل — المولي بالرسوم ،
يسمع الفجر ابتهالاً صاعداً منكِ اليه
وتخرّي ، كنبيٍ هبط الوحي عليه
بخشوعٍ جاثيه ·
— هل من الفجر انبثقتِ ؟

ان رأيت الشمس في — حضن المياه الزاخره
ترمق الارض ومافيها بعينٍ ساحره ،
تهجع الشمس وقلبي يشتهي لو تهجعين ،
وتنام الارض لكن انت يقظى ترقبين
مضجع الشمس البعيد
— هل من الشمس هبطتِ ؟

ان سمعتِ البلبل الصياح — بين الياسمين
يسكب الالحان ناراً في قلوب العاشقين ،
تلتظي حزناً وشوقاً ، والهوى عنكِ بعيد
فاخبريني ؛ هل غنا البلبل في الليل يُعيد
ذكر ماضيكِ اليكِ ؟
— هل من الالحان أنتِ ؟

ايه نفسي ! — انتِ لحن فيَّ قد رنَّ صداه
وقَّعتكِ يد استاذٍ — خفيٍ لا اراه ·
انتِ ريحٌ ونسيم انت موج ، انت بحر ،
انت شمس ، انت رعد ، انت برق ، انت فجر
انتِ جزء من اله !

ميخائيل نعيمه



الالهة والاصنام

لوليم كاتسفليس

* * * * *

الانسان حيوان ديني · عابد متعبد بالطبع · ان لم يعبد الاله عبد الالهة وان لم يعبد الالهة عبد الاصنام · واذا كان منحطاً الى درجة لا يستطيع فيها استنباط الاصنام فتراه يعبد الاوهام او ما يخيفه في الطبيعة وما لا يدركه من عوامل العناصر ·

ان ميل الانسان للعبادة او فطرته الدينية هي نتيجة تفوقه على سائر الحيوانات وما يجده في وقته من الفراغ لاعمال الفكرة · فلو كان حيواناً منحطاً دأبه السعي وراء زاده واتقاء الاخطار المحيطة به باستعمال وسائل الدفاع الغريزية لما تسنى له الترفع عن المادة الى ماوراءها والاشتغال بالروحيات بعد ان تجهزت له الماديات · اما وقد وهبته الطبيعة من الذكاء وقوة الاختراع ما جعله فوق سائر المخلوقات وسخرتها له ليستخدمها لحاجاته بقوة عقله لا بقوة جسده ، فلم يعد مضطراً لتكريس حياته كلها للسعي وراء زاده والذود عن صغاره وحياته من هجمات رفيقه الحيوان بل تسنى له الاختلاء بنفسه فاعتاد التفكير واكتشف التحليل فتطرق الى البحث فيما وراء المادة وجعل له من عقله او من مخيلته معبوداً او اكثر · والبرهان على ان الانسان

لولا الفراغ من الوقت الذي هو نتيجة سيادته على سائر الحيوانات لما فكر في الروحيات هو تدرجه فيها · فحين كان ساذجاً غبياً لم تكثر اختراعاته الهجومية والدفاعية لم يكن له فراغ من وقته فلم يكن يعبد شيئاً ، بل ربما سجد للبرق او للرعد مدفوعاً بعامل الرهبة الى ان صار اعرق بما نسميه التمدن فتدرج باستنباط المعبودات من النبات والحيوان لحاجته اليهما ومنفعتهما ثم توصل الى الاصنام ، فالى الالهة العديدين والصفات المؤلهة ، فالى الاله الحق

على ان موضوع هذا البحث العبادة المجازية بمعناها النفسي الواسع الشامل· والعامل فيها هو نفس العامل في العبادة الدينية مع اختلاف في المظاهر والنتائج وربما امتزج النوعان في نفس العابد الواحد ·

واني اعني بعبادة الالهة عبادة الافكار وبعبادة الاصنام عبادة التقاليد والاوهام ·

قد يكون الاله الذي ولدته النفس البشرية واقامت له الهياكل وقدمت له القرابين من مال واعمال ودماء اله شر ، وقد يكون اله خير ولكنه على الاطلاق ابن الاعتقاد وحفيد الاخلاص· كونه الفكر وتمخضت به النفس فجاء قوياً مستبداً مطلق الكلمة لا يقبل في الحكم شريكاً ولا يترك مجالاً للبحث والجدال ·

وُلد من النفس فصار آمرها · تكوّن من الفكر ثم تسيطر عليه وجعله آلة بين يديه · اوجده الانسان ثم صار له الانسان عبداً رقاً وتابعاً مطيعاً

اما الاصنام ، وهي تقاليد واوهام ، فمعبودات شر في كل مظاهرها

وجميع حالاتها . فان لم يكُ لها من سيئة سوى حؤولها دون سير الفكر الى الامام وتطرقه الى الارقى والافضل لكفى بها آفة للمعرفة والحكمة وبلية على الانسانية . والفرق بين العبادتين كالفرق بين المستنقع القذر الذي لا يتحرك ماؤه النتن وبين النهر المتدفق بمياهه الصافية من المرتفعات الى الاودية فالى البحر العظيم .

شتان بين حالة المتوحش الغبي الذي ينحت شبه صورة في صخر او يجبلها من تراب بشكل غليظ ثم يسجد لها ارضاءً لغريزة التعبد فيه رغم كونها جماداً مثل فكره حقيرة مثل نفسه وماء المستنقع — وبين المفكر الذي يخلق الفكر فيؤلهها ويحلل قوة من قوى الفكر هي الحكمة فيجعل منها مينارفا ، وتطربه ألحان الموسيقى فيجلس يوتارب على كرسيها ؛ ويلذ له الشعر فيختار له ابولو . مثل هذا بعيد عن الوثنية كما يفهمها الناس . وانما هو يعبد العقل بقواه ، والنفس بعواملها ، والقلب بعواطفه . وسواء سماه ابولو او كاليوبي فانما هو يعبد الشعر ، واذا سجد لمينارفا فهو للحكمة يسجد . ذلك لانه قد نزل الى اعماق نفسه وفتش في زوايا عقله فحلل القوى والعواطف والمواهب وألبس كل منها اسماً استعاره من مخيلته الجوادة

اما المتوحش الذي يسجد لصورة جامدة لا تمثل فكراً فهذا يعبد اصنامه

الخامل الذي لا يجرأ ان يخالف خرافات ابيه وجده — هذا يعبد اصنامه

المستعبد الذليل الذي يرضى ببقاء الحياة ولا يسعى لنبذ النير ، او يقعده الدرهم عن النهوض من حضيض الخمول والعبودية — هذا يعبد اصنامه

الفاتر في العموميات ، المتقاعد عن كل عمل مفيد لنمو العقل البشري ، القانع من الدنيا بقدح يرشفه وفخذ يأكله وآخر يلمسه — هذا يعبد اصنامه .

المتقيد بقيود الاعصر الغابرة وسلاسل التقاليد البالية ، الذي لا يقدم على عمل لم يعمله سواه من قبله ولا يستعمل كلمة لم تمضغها افواه العصور الذي لا يحارب الا لابقاء القديم على قدمه ولا يناضل الا لحفظ حرمة اصحاب الخرافات القديمة ولا يمشي الا القهقرى — هذا يعبد اصنامه .

لنترك الاصنام في اوكارها منتقلين الى هياكل الالهة ولنجعل دخولنا اليها بورع واحترام فالمقام جليل . وسواء كانت الهتنا ام لم تكن ، سواء كانت صالحة او فاسدة في اعتقادنا ، فهي من صلب الاخلاص ورحم العقيدة الحقيقية فاحترامها فرض على المفكرين .

ها كم الوطنية مثلاً . الهة سجدت لها الاقوام من قدم وقدمت على مذابحها قرابين لو جمعت لتألف منها عالم بل عوالم . برزت في نفوس البشر لما بدأ الانسان يخرج من العبودية كما تخرج الفراشة من شرنقتها . لم تكُ معروفة في حالة الانسان الفطرية قبل ان صارت له جامعة اي في عصر البيت والحي والقبيلة . ولم تكُ معروفة في الامم التي كثرت عبيدها وقلّت حكامها لان حقوق الفرد كانت لا تزال مجهولة . بل ابتدأت تتجلى عند ظهور حقوق الفرد وحريته في الهيئة الاجتماعية . تجسدت في مجد اثينا ونظام سبارتا وعظمة رومية . وتجسمت في ثورة اميركا وعاصفة فرنسا .

كهنتها الوف وعبادها ربوات وضحاياها لا تحصى بعد · من اجلها كان بريكليس ينظم ويناضل ويرضى بالاضطهاد ، ومليناد يحارب ، واريسطو وافلاطون يعلمان ، وديموستينس يندد بفيليب غير مبالٍ بنفسه ، والاسكندر يحاول ان يهبها العالم كما يقدم الحبيب اضمامة ازهار الى محبوبته ، وبروتوس يقدم لها قرباناً من دم قلبه مضحياً لها اعز اصدقائه كما ضحى لها جده بروتوس الاول ولديه من قبله ، وكاتون ينتحر في سبيلها ، ورشليو يدمر البلاد ليقيم لها قصراً اسمه الوحدة الوطنية ، وواشنطون ورفاقه يجوبون البلاد ابطالاً عراة لينقذوها من مخالب الغريب ، وروبسبيار ودنتون ورفاقهما يجعلون لها بحيرة من الدماء وسطها فرنسا ودائرتها اطراف اوربا لتغتسل فيها فتنظف من اوساخها وتبرأ من علاتها فتخرج منها شابة رائعة الجمال

يا لها من ربة ظلوم ، جائعة لا تأكل الا لحوم البشر ، عطشانة لا ترتوي الا من دمائهم ، وهم مع ذلك عبدوها ولا يزالون عَلَى عبادتهم وعهدهم

والالهة كثيرة ، بل كل عاطفة في النفس القوية اله · وكل فكر مخصب كبير في العقل الراجح والقلب الحازم اله ·

الرسالة لصاحبها اذا أمن ، والدعوة للداعي اذا صدق ، والوعظة للواعظ اذا اخلص ، تجعل لكل منهم من نفسه واعتقاده الهاً ·

والا فما الذي حمل بطرس الناسك عَلَى دعوته وجعله يجوب البلاد محرضاً مستصرخاً ؟ لو لم تكن عقيدته صارت « الهاً » فيه لما وجد صوته صدى في النفوس ولما تبعه الالوف الى الحتوف ·

او ليس الاله ابن الايمان الذي كان في نفوس الشهداء هو الذي جعلهم يستصغرون الموت في سبيل ايمانهم ·

من من القريشيين او العرب او العجم كان يصغي ويؤمن بمحمد لولا الاله الذي كان في نفس الرسول ؟ او ما ترى ان ذلك الاله سكن ايضاً نفوس الراشدين ورجالهم فصاروا به انصاف آلهة لم يرَ العالم نظيرهم بالعدل والاخلاص والتفاني ؟

اله شهداء العلم ، واله القائلين بالحرية في وجه الظلم والمستميتين عند قولهم ، واله المضطهدين لمذهب والمعذبين لقول والمقتولين لفكر ، واله شهداء النصارى وشهداء الاسلام — ممن كانوا يقتلون صبراً لرفضهم لعن علي او الاقرار بخلق القرآن الى الذين يقتلون ببنادق الجند وهم يصيحون « فلتحي الحرية » — كل هذه الهة لولاها لما بلغ العالم شأوه الحاضر · فاسجدوا لها سواء كنتم من عبادها او لم تكونوا لان رقيكم كان منها وبها

هي من اولاد الاحلام لا الاوهام · والاحلام امهات الافكار والاعمال · هي بنات قوى العقل والعواطف والشعور فليكن لكل منا الهاً اذا اردنا التقدم ولنحطم الاصنام فالاصنام سجون العقول ·

محبة الحياة

لامين مشرق

* * * * *

اذا اكثر الدهر في شقوتي   وشدت عليَّ يد النائبات
ضحكت من الدهر في شدتي   وزاد انشغافي بحب الحياة

اذا جعت من فقري المدقعِ   وسترت بالخرق الباليه
وامسى حضيض الثرى مضجعي   وغذيت بالعشب كالماشيه
وسدت بوجهي طريق النجاح   وسوَّد ليلي بياضَ صباحي
هتفتُ بشوق وبعض ارتياح   الا ان نفسي تحب الحياة

اذا كنت سلطان كل البرايا   فجردني الناس من سلطتي
وخانت سعاد عهود صبايا   وانكرني الكل في سقطتي
وقُيدتُ في قفص من حديد   بظلمة سجنٍ كداجي اللحود
لعشت بصبر وعزمٍ جلود   وقلبِ فتيٍ يحب الحياة

اذا كان منفاي صخر جزيره   بعيدا بعيداً وراء البحار

تدب عليها الوحوش الكثيره   وتحجب فيها الليالي النهار
اصارع برداً هناك وحرّاً   اطوف الفيافي قفراً قفرا
وآكل شوكاً واشرب مرّاً   لكنت كما كنت اهوى الحياة

اذا ضربتني السما بالقروحِ   وصارت تمص دماي الكلابْ
وجاز الورى فوق جسمي الطريح   وداست ودادي رفاق الشباب
وانكر حبي شقيقي وامي   ووالد جسمي واختي وعمي
سكت اطارد همي بهمي   وروحي تناجي جمال الحياة

فوءادي يرى ان فقدت البصر   ويسمع اما فقدت السمع
وفكري يطارد عني الضجر   ويدفع جيش الاسى والوجع
خريفاً وصيفاً ربيعاً شتاءً   سلاماً وخوفاً نعيماً شقاءً
احب العناء احب البقاء   احب الرخاء احب الحياة

« امين مشرق »

الاباء والبنون

❋ رواية اجتماعية تمثيلية ❋

لميخائيل نعيمه

(حقوق التمثيل محفوظة)

الفصل الرابع

الاشخاص — موسى بك العركوش ·

ام الياس

زينه · شهيدة · خليل · داود · الياس ·

الاسبوع الثاني بعد عيد الفصح · الساعة العاشرة صباحاً ·

(حديقة فاكهة حول بيت سماحه · الى اليسار يُرى جدار من جدران البيت فيه اربع شرفات في الطبقة الثانية وبلكون في الوسط · في وسط الحائط من الطابق الارضي باب الى جانبيه نافذتان · حول الحديقة من الجهة الشمالية والغربية حائطان عاليان من الحجر · في الزاوية الشرقية من الحديقة « بوابة » تؤدي الى الخارج · من باب البيت يمتد ممر ينتهي عند جدار الحديقة الغربي · ممر آخر يمتد من الشمال الى الجنوب قاطعاً الممر الاول

في الوسط · عَلَى طول السور — عند اسفله — وعَلَى جهتي الباب اشجار ياسمين مشتبكة الاغصان · في الحديقة اشجار من التفاح والخوخ والمشمش والسفرجل واللوز — بعضها قديم فيه كثير من الاغصان اليابسة وبعضها صغير وكلها مغروسة بدون ترتيب · اشجار التفاح والخوخ والمشمش واللوز مزهرة · الى الجنوب الغربي من ملتقى الممرين شجرة تفاح قديمة مكسوة بالزهر تحتها مقعد خشبي · عَلَى المقعد امالياس وموسى بك · في يد امالياس مكوك وبكرة خيطان · في يد موسى بك عصا غليظة · حول رقبته طوق مكوي لكنه مكسر ومغطى بالوسخ من العرق والغبار · ربطته غليظة قديمة ممزقة · ثيابه افرنجية لكنها قديمة العهد لم ترَ الكاوي اكثر من سنة · عَلَى صدره سلسلة فضية غليظة · وعَلَى رأسه طربوش احمر مكسر اطرافه « مزفتة »)

موسى بك — (منحنياً عَلَى عصاه) لكن قلتِ لي زينه صارت تروح وتجي ؟ اي · الحمدالله عاالسلامه يا امراة خيي ·

ام الياس — (بتخشع) الله يشكر حمدك ·

موسى — صدقيني — انا من يوم اللي سخنت هاالبنت وانا متل الملطوش عَلَى وجهي · لا يهنا لي اكل ولا يهنا لي شرب · ان نمت ما افتكر الا فيها · وان قمت ما افتكر الا فيها

ام الياس — ما في شك بمحبتك يا موسى بك ·

موسى بك — لكن لو تشوفي ناصيف ! هاداك لا عاد ياكل ولا عاد

يشرب . اسم زينه ما يطلع من تمه . كيف ما راح كيف ما اجا -- « زينه زينه . زينه .» قال « ان ماتت زينه لا سمح الله -- بدي موت وراها » . ليش الحكي -- بيحبها حب مش بوعي . حب فوق الوصف يا مراة خيي ام إلياس .

ام الياس -- عن تخبرني انا ؟ ما بعرفش ناصيف ! بيحبها يا ولدي -- لكن ، سبحان الله ! ليش تايقولوا -- المحبة خصايص والغضب عموم . هي اذا ذكرت لها اسم ناصيف بيطير صوابها . بتجن بفرد مرة .(باهمية) ضميري ناقذني انه حدا كاتب لها لهاالبنت . من قلة المحسدين والمبغضين ! بعدك فائق لمن جيت تشق عليها وهي بساخنة انت وناصيف بك ؟ بعلمك هاالبنت غايبة عن وجه الدني . هاالحمه عليها تقلي وتشوي ! هي ليلة الكانت مخطرة كتير ، ليلة اا قال الحكيم انها هات تصافح هات ما تصافح ، لا عادت عرفتني ولا عرفت اخوتها ولا عرفت حدا ، لكن بس قرَّب لها ناصيف وقال لها -- بتعرفيني ازينه ؟ فتحت عينيها وبس لمحته ولعت متل الخوته وصرخت صوت -- الله المجير -- انا قلت راحت من ايدي البنت -- « خذوه من هون » حتى ما عادت شافت اتر ناصيف بالاوضه . ومن بعدها -- ولدي -- ضلت تترقوص بنومها وتعيط « خذوه من هون »

موسى -- عاحجة الحمه الواحد بيقول ايش ما كان . ما بتعرفيش المحموم كيف بتضيق منافسه وبيصير يلاطش خياله ؟..

ام الياس -- ولدي قديش قضت ! ولدي قديش ذاقت ! شايف قشة

الشوفان -- متل قشة الشوفان صارت . لو بعرف بس منين جابت السم ؟ الحكيم قال انه السم سرح بجسمها . ربك ستر ما وصلش لقلبها . عشرين ليلة وعشرين نهار ضلت عافرد حال . لا طيبه معروفه ولا ميته معروفه . لولا هاالبنت الحلال -- الله يوجه لها الخير -- هي شهيده ، اخته للمعلم داود -- لولاها كانت قشطت زينه « يا ولدي » من ايدي . اول ليلة لوقعت فيها زينه اجت وقالت لي « خليني اخدمها » . انا -- بدك للصحيح -- ارتجفت مصاريني منها كنت بعدني مخمنتها « متل ما قلت » بنت عاطله ؛ وانها مش اخته للمعلم داود . لكن زينه ما كانتش تخلي حدا غيرها يقرب صوبها . قلت « يا ويلاه . ما دام زينه بدها ياها خليها تقعد » . ويا موسى بك ! انا وقعت عيني عابنات كتير . لكن متل هاالبنت لا شفت ولا بقى شوف -- الله ما خلق متلها . قعدت فوق راس زينه متل هاالملاك . ضلت عايومين تلاته لا تاكل ولا تشرب . جنس النوم ما كانت تعرفه . ما فيش ساعة بالليل افتح عيني تاشوفها قاعده عاهاالكرسي متل الصلوب . سخنت لي قلبي . بالاخر قلت لها « قومي نامي لك شوي يا بنتي انا اقعد مطرحك » . لا سمح الله انها تنام . قالت « انا صبيه يا خالتي ام الياس . فيي اسهر . انت ختياره » . ما ألبق دياتها وما اطرا لسانها ! الحكيم انجلق فيها . مبارح بيقول لي -- « ان كانها بنتك خلصت ما حدا خلصها غير هاالبنت الحلال . لازم تركعي قدامها وتغسلي لها جريها كل صبح ومسا وتشربي زومهن . »

موسى -- لكن انت مصدقه انها اخته ؟

ام الياس — لا · لا · حرام يا موسى بك حط بنت متل هي بذمتي ·
بنت متل هي بزمانها ما بتعرف النقص ولا بتمشي عَلَى دروب العطال · لا ·
لا · لا · حرام · وبعد هادا وكله — هي متل خيها مخلق منطق · مين
ما شافهم بيقول من فرد ام وبي · لا · لا · بنت آدميه — بلا زغرة — تايفضل
عنها · فقيرة بس ·

موسى — وهلق شو ناويه تعملي بزينه يا امراة خيي ؟

ام الياس — انا بعرف ؟ يعملني طاعون ! بعد هاللي ذقته وهاللي قضيته
يا موسى بك ما عاد لي عزم يتحرك ولا لسان يحكي · انا نذرت نذر — انه
اذا صحت هالبنت خليها تعمل اللي بدها اياه · انا لا عدت قول لها خدي
فلان ولا خدي فليتان · انا صدقت ايا ساعة بترجع لعافيتها · بدها ناصيف
تاخده · بدها ابن سلامه تاخده ، بدها القرد الاسود تاخده · انا بدي نزل
الحملة عن ظهري · بيقديني هاللي صابني ·

موسى — لا تواخذيني يا امراة خيي اذا قلت لك هالكلمه ، ولو طلعت
تقيله — كل شي صابك من ايدك · من رخاوتك · انا كنت عدك اخت
الرجال · لكن ايش بدي قول اذا كنت بشوفك بتمشي عاهوى بنتك
وبتفزعي تكسري لها خاطرها ! هي رخاوة يما لا ؟

(زينة وشهيدة تخرجان من البيت الى الحديقة متجهتين نحو الغرب
وآخذتين الواحدة بيد الاخرى)

زينة — (وقد ابلت من مرض طويل آثاره لا تزال بادية عَلَى وجهها ·

تمشي الهوينا · حركاتها قليلة وضعيفة · لكن العافية أخذت ترجع اليها
بسرعة · تنادي بصوت ضعيف) يا امي ! يا امي ! اين انت ؟

ام الياس — (باسمة) انا هون يا روح امك · هون تحت التفاحة ·
(زينة وشهيدة تتجهان نحو التفاحة)

ام الياس — (الى موسى بك) بتقول لي رخاوة · ايش بدي اعمل اكتر
من هيك ؟ اكتر ما ضربتها وحبستها بالبيت وصومتها عاريق بطنها ؟ لو
ماتت — لا سمح الله — ما كانوش الناس بيقولوا انها امها قتلتها ؟ وانا دمدم
قلبي من حكي الناس يا موسى بك · ما حاجتيش اللي صابني ؟ ما حاجتيش
حكي الناس ؟ انا اللي عملته ما حدا عمله · واللي احتملته ايوب ما احتمله ·
لا · لا · لا ! حاجتي مصيبتي · خليها تعمل اللي بدها اياه — بس تضل طيبه ·
هلق بتجي لهون · قنعها تاتاخد ناصيف بك · احكي لها شي كلمتين يقطعوا
عقلها — بلكي بتسمع منك · (شهيدة وزينة تقتربان من التفاحة) انا هون
بنتي · يا روحي · انا هون !

زينة — (مقتربة مع شهيدة من امها وموسى بك) يا امي بدي بشوك
بشارة ···· (يقع نظرها عَلَى موسى بك فتقصف راجعة الى الوراء وجاذبة
شهيدة بيدها)

ام الياس — زينة ! زينة !

زينة — (بدون ان تلتفت الى الوراء) ماذا يعمل هذا الرجل هنا ؟
ليذهب من هنا ! ليذهب من هنا !

ام الياس — (الى موسى بك) شفت ؟ ايش طالع بايدي بعد ؟ بقدر ينزل فيها بالعصا ؟

موسى — لا تلوميهاش . لا تلوميهاش يا ام الياس . بعدها قايمة من السخونة جديد . لكن لومي حالك . شايفلك انت ناويه عاهلاكها . مش هيك املي فيك يا ام الياس !

ام الياس — يا تعتيري انا . قل لي — ايش بعمل ؟ ايش بسوي ؟

موسى — انت اخت الرجال وعن تسأليني ايش بتعملي ؟ مني ومنك انا اذا كنت بعرف انها بنتي عاشقه انسان دون ، سقط ، الله بيعلم شو دينه وشو اصله ، واذا كان مقدم لها عريس آدمي وابن اوادم ، ما كنتش بقعد بداويها على خاطرها ، بجيب الخوري وبصليها — وخلصت المسألة . اسمعي مني تاروح ورا الخوري حنا اليوم واشرح له السيرة ، وانا بتكفل انه الخوري حنا بيصلي . بدك احسن من هيك ؟

ام الياس — وبلكي رجعت هاالبنت وسخنت وماتت — لا سمح الله — ايش بيقولوا عني الناس ؟

موسى — شو بدك بالناس . يحكوا تاينشقوا ! انت عليك تدوري عاصالح بنتك . هيك يما لا ؟

ام الياس — هادا مأكد .

موسى — ساعتها ليش الرايح والجايي ؟ — خليني روح ورا الخوري وانا بتكفل لك انه اذا اصابني شي هاالبنت بيصيبها شي . بدك اكتر من

هيك . عليي . انا كفيل ضمين انه هاالبنت ما بيصيبها عطب .

ام الياس — اوف . اوف . ما بعرف ولا بدري ! قلبي ناقذني — الله يسترني ويهونها عليي .

موسى — قلت لك انا كفيل ضمين . من ايش فزعانه بعد ؟

ام الياس — انا فزعانه حط هاالبنت بذمتي . لكن اذا كنت بتكفل انه ما بيخصها شي ، عمول بمعرفتك . انا بروح بحاكيها كلمتين — بلكي بتقنع مني .

موسى — (ينهض) فاذن انا رايح . عن قريب برد عليك خبر ومنشوف شو منعمل . (يذهب نحو البوابة ويخرج)

ام الياس — انا ريتني ما كون ! ان كنه هاالبنت بيعود يخصها شي . ايش بيعود يخلصني من لسانات الناس ؟ (تنهض وتذهب نحو البيت تلتقي بزينة وشهيدة آتيتين نحو التفاحة فتأخذ زينة بيدها ويرجع الثلاث الى المقعد . زينة وام الياس تجلسان . شهيدة تبقى واقفة)

زينة — هل انصرف هذا الشيطان من هنا يا امي ؟

ام الياس — عيب يا بنتي عيب ! ما اسموش الا رجال ختيار ومنشاف بين الناس .

زينة — عيب ان ندعو الشيطان شيطاناً ؟ هذا ليس شيطاناً بسيطاً يا امي . هذا شيخ الشياطين . ألم تسمعي باذنك ما قاله عن داود وشهيدة — فهل رجل اسود النية والضمير مثله هذا من الشيوخ الذين لا يجللهم الشيب

فلا تغترين بشعره الابيض · لولاه لما جرى ما جرى لي ولما احتملت ما احتملتيه من العذاب لاجلي ·

ام الياس — يا بنتي شو لنا عند العالم · انسان بده صالحنا — من قولك ديّات بيك ؟

زينة — هذا العفريت يريد صالحنا ؟ ما ابسط قلبك يا امي ! كنت اعد نفسي بسيطة فاذا انتِ ابسط مني · هذا لا يفتش عن صالح احد سوى صالحه · لا يهمه احد في الدنيا سوى نفسه · أتظنين انه يطلبني لابنه حباً بابنه او بي ؟

ام الياس — لكن ليش ؟

زينة — او · امي · امي (تضحك) اني اعرف اشياء كثيرة لا تعرفينها انتِ · هذا المحتال قد اثقلت ظهره الديون · ابنه مديون وهو مديون وبيته مرهون · فهو يريدني حباً بدراهمي وليس بي او بابنه · ويريد ان يفي ما عليه من الدين قبل ان يبيعوا بيته ويضعوا ابنه في السجن · هو يعرف ان امامه آخرة كآخرة الكلاب · ولم يجد طريقاً للحصول على المال اسهل مني · فتحبب اليك وغشك بنواياه الحسنة · ونواياه اسود من الفحم يا امي · نعم هذا اكبر خدّاع ومداج في العالم ·

ام الياس — اسمعي ايش بتقولي · موسى بك مديون ؟ هادا ما بيصير

خليل — (يخرج من الباب الى الحديقة راكضاً ومنادياً) -- وين رحتو زينه · الياس · امي ! وينكم ؟

زينة — هنا · هنا يا خليل · (الى امها) هذا صائر يا امي · وسينكشف عن قريب ·

خليل — (مقترباً من التفـاحة) ولك وينكم ؟ (يراهنّ) عرفتوا ؟ عرفتوا ايش صار ؟

شهيدة — ماذا · ماذا ؟ هل حدث مكدر لالياس او داود ؟ مذا ؟ عجل ·

خليل — (مقهقهاً) ولك البيك · البيك · بيكنا — حبسوه !

زينة — (تثب عن مقعدها وتعانق خليل متهللة) موسى بك او ناصيف بك ؟

خليل — ناصيف · ناصيف · قه · قه · قه ! العسكري يقول له — تفضل عاالحبس وهو يغني -- « البوكر قرّح لي قلبي » قه · قه · قه · قه ·

ام الياس — (مذهولة) ولك عن تضحك يما عن جد ؟

خليل — عن بضحك ؟ ريتني اضحك انا و كل اهلي انشاالله ! وايش بعمل — ببكي ؟ شي بيضحك غصب · قاعدين كنا اربعتنا بقهوة الجسر · شربنا هلي شربناه وعن نلعب دق بوكر · ناصيف بك مكيف — ربحان شويه — لا عنده ولا عند باله · شويه والا جايي عسكريين « مين منكم ناصيف بك العركوش ! » ناصيف قال « انا » خمن جايته عزيمة من القائمقام « تفضل عاالحبس » ليش ما ليش ؟ — قالوا — « دعوة مداينيه بالمحكمة بيخبروك ليش » اجا بده يحكي طالع نازل — سحبوه متل الكلب · ساعتها ما عاد فتح تمه · قه · قه · قه · يا حوينتك يا ناصيف بك · البوكر قرّخ

لي قلبي ! قه ٠ قه ٠ قه ٠

زينة — (بفرح الى امها) ألم اقل لكِ يا امي ؟

خليل — هادا ما هو شي ٠ الضربه علَى بيه اللي عن يبيعوا له بيته بالمزاد ٠ علَى اونا ٠ علَى دوه ٠ الليلة يما بكرا بيكحتوه من بيته متل الكلب ٠

ام الياس — (بدهشة كلية) موسى بك ؟

خليل — اي ٠ اي ٠ موسى بك ما غيره ٠ موسى بك بوقرعه ٠

ام الياس — (ضاربة رأسها بيدها) تنكحري يا بنت العرموني ! ولك موسى بك هلق كان هون ٠

خليل — هلق كان هون وهلق راح يحضر بيع بيته ٠

ام الياس — (تمشي نحو البيت) سبحانك يا ربي في ملكك — هاالدني كيف هي مركبة شكل !

خليل — (يتبعها) ما عليش يا امي ٠ ما عليش صعبت عليكِ ؟ ياما بيجي من الله ٠

زينة — (تعانق شهيدة بلهفة) شهيدة ٠ شهيدة ! لماذا لا ترقصين ؟ لماذا لا ترتلين ؟ لماذا لا تقولين شيئاً ؟

شهيدة — ومـاذا اقول ولساني لا يتحرك من الفرح ٠ قلبي يرقص وقلبي يرتل ٠

زينة — (تهزها من كتفها) شهيدة ! طفح قلبي ٠ طفح قلبي بالفرح ٠ صلّي قولي معي

« نشكرك يا رب ! » أتدرين ماذا يعني كل هذا ؟ أو — شهيدة ! لماذا لساني قصير ؟ لماذا لا اقدر ان اقول ما احب ان اقوله ؟ تأملي — ان موسى بك وناصيف بك وخبثهما واحتيالهما وغضب امي وقساوتها — كلهم — كل ذلك — قد اصبح ماضياً ٠ ماضياً ولم يعد لا حاضراً ولا مستقبلاً ٠ تأملي — ان ما كنا نراه في الحلم اصبح يقظة ٠ موسى بك اختفى ٠ وناصيف بك اختفى ٠ وامي لن تعاند بعد ما رأت انها كانت مخطئة في ما ظنت ٠ وانها اساءت نحوي ونحو نفسها ٠ شهيدة ! حبيبتي ! لولاكِ لما كنت واقفة الآن هنا ارتجف من الفرح ٠ لولاكِ لما عشت لارى هذه اللحظة واتمتع بهذه السعادة ! (تقبلها) شهيدة ألستِ انت سعيدة مثلي ؟

شهيدة — انا سعيدة مثلك واكثر منكِ ٠ سعيدة بسعادتي وسعيدة بسعادتك ٠ لكني — لشدة فرحي — قد ارتبط لساني ٠ واخاف اذا تكلمت ان تذهب مني سعادتي كما يفلت عصفور من قفصه

زينة — انا احب ان اسكت كذلك — لكن لا اقدر ٠ لساني يتحرك غصباً عني ٠ واذا سكت لساني تكلمت عيناي وفمي ويداي وكل اعضاء جسدي ٠

شهيدة — لا تنسي انك لا تزالين ضعيفة وان التهيج يوءثر بك ٠

زينة — تهيج كهذا ينفع لا يضر يا شهيدة ٠ واذا جاء الموت بسببه فلا بأس حينئذٍ من الموت ٠ لكن — شهيدة — قولي لي « بحياتك » كيف

لي قلبي ! قه · قه · قه ·

زينة — (بفرح الى امها) ألم اقل لكِ يا امي ؟

خليل — هادا ما هو شي · الضربه عَلَى بيه اللي عن يبيعوا له بيته بالمزاد · عَلَى اونا · عَلَى دوه · الليلة يما بكرا بيكحتوه من بيته متل الكلب ·

ام الياس — (بدهشة كلية) موسى بك ؟

خليل — اي · اي · موسى بك ما غيره · موسى بك بوقرعه ·

ام الياس — (ضاربة رأسها بيدها) تنكحري يا بنت العرموني ! ولك موسى بك هلق كان هون ·

خليل — هلق كان هون وهلق راح يحضر بيع بيته ·

ام الياس — (تمشي نحو البيت) سبحانك يا ربي في ملكك — هالدني كيف هي مركبة شكل !

خليل — (يتبعها) ما عليش يا امي · ما عليش صعبت عليكِ ؟ ياما بيجي من الله ·

زينة — (تعانق شهيدة بلهفة) شهيدة · شهيدة ! لماذا لا ترقصين ؟ لماذا لا ترتلين ؟ لماذا لا تقولين شيئاً ؟

شهيدة — وماذا اقول ولساني لا يتحرك من الفرح · قلبي يرقص وقلبي يرتل ·

زينة — (تهزها من كتفها) شهيدة ! طفح قلبي · طفح قلبي بالفرح · صلّي قولي معي

« نشكرك يا رب ! » أتدرين ماذا يعني كل هذا ؟ أو — شهيدة ! لماذا لساني قصير ؟ لماذا لا اقدر ان اقول ما احب ان اقوله ؟ تأملي — ان موسى بك وناصيف بك وخبثهما واحتيالهما وغضب امي وقساوتها — كلهم — كل ذلك — قد اصبح ماضياً · ماضياً ولم يعد لا حاضراً ولا مستقبلاً · تأملي — ان ما كنا نراه في الحلم اصبح يقظة · موسى بك اختفى · وناصيف بك اختفى · وامي لن تعاند بعد ما رأت انها كانت مخطئة في ما ظنت · وانها اساءت نحوي ونحو نفسها · شهيدة ! حبيبتي ! لولاكِ لما كنت واقفة الان هنا ارتجف من الفرح · لولاكِ لما عشت لارى هذه اللحظة واتمتع بهذه السعادة ! (تقبلها) شهيدة ألستِ انت سعيدة مثلي ؟

شهيدة — انا سعيدة مثلك واكثر منكِ · سعيدة بسعادتي وسعيدة بسعادتك · لكني — لشدة فرحي — قد ارتبط لساني · واخاف اذا تكلمت ان تذهب مني سعادتي كما يفلت عصفور من قفصه

زينة — انا احب ان اسكت كذلك — لكن لا اقدر · لساني يتحرك غصباً عني · واذا سكت لساني تكلمت عيناي وفمي ويداي وكل اعضاء جسدي ·

شهيدة — لا تنسي انك لا تزالين ضعيفة وان التهييج يوءثر بك ·

زينة — تهيج كهذا ينفع لا يضر يا شهيدة · واذا جاء الموت بسببه فلا بأس حينئذٍ من الموت · لكن — شهيدة — قولي لي « بحياتك » كيف

يقدر الناس ان يكونوا مثل موسى العركوش وابنه ؟ كيف يقدرون ان يخدعوا الغير وينصبوا لهم الاشراك ويعدموهم الصحة والسعادة والحياة اذا امكن لاجل ارضآء شهواتهم فقط ؟ خذي لكِ مثلاً — انا في حياتي لم اسبب للعركوش او ابنه اقل ضرر . ولا كان في قلبي قطرة من البغض نحوهما قبل ما فعلا ما فعلاه بي . فلماذا سببا لي كل هذه الاوجاع ؟ يريدان ان يحصلا عَلَى اموالي فلماذا لم يطلبا اموالي ويتركاني عَلَى حدة في راحة ؟ أتدرين اني ، لو طلبا قبل اليوم مني مالاً ولم يتعرضا لسعادتي ، لاعطيتهما المال بكل سرور ؟ ماذا فعلت بهما انت او داود حتى حاولا ان يسودا اسميكما كقلبيهما الاسودين ؟ لو لم اقاسي من هذين النذلين ما نلته من العذاب لما ابغضتهما ولما دخل البغض قلبي عَلَى الاطلاق . انا ابغض البغض .

شهيدة — البغض في وقته ومحله فضيلة كبيرة كالمحبة يا زينة . في العالم اناس محبتهم جريمة — وموسى بك وابنه منهم — وفي العالم اناس بغضهم اثم — وانت واحدة من هوءلاء الناس .

زينة — ستعجبين اذا قلت لكِ اني في هذه الدقيقة . في هذه اللحظة ، اشعرت بانقباض قلب موءلم . أتصدقين ان قلبي انقبض شفقة عَلَى موسى العركوش وابنه . انتِ تضحكين — وانا لا ادري كيف انسى ذلك . تذكرت كلمات خليل — « الليلة يما بكرا بيكحتوه من بيته متل الكلب » فصورت لذاتي هذا المسكين — موسى بك — دائراً في الاسواق لا سقف فوق رأسه ولا فتر في الارض يقدر ان يقول — « هذا ملكي » . صوري

شيخاً مثله ، نصفه في القبر ، دائراً عَلَى الابواب يستعطي وصوري ابنه ، رجلاً في منتصف العمر ، ينتقل من حانوت الى حانوت ومن خمارة الى خمارة وجيبه فارغة وثيابه رثة ... أو شهيدة ! (ترتجف) . مرَّت هذه الصورة امام عيني فانقبض قلبي . قولي ما شئتِ . وادعيني ما شئتِ ، فانا لست ملكة عواطفي . احب ان ابغض والان ادركت اني لا اقدر ان ابغض . بماذا تفسرين ذلك ؟

شهيدة — اذا سألت الياس او داود فربما قدرا ان يحللا ذاك لك . (الياس وداود يدخلان الحديقة من الشارع راكضين)

زينة — (اذ تراهما) اذكر الذيب وهيىء القضيب . (باعلى صوتها) داود ! الياس ! نحن هنا نحن هنا !

الياس — (عندما يقترب منهما لاهثاً من التعب) اين امي ؟ اين امي ؟

زينة — في البيت . ماذا جرى ؟

الياس — ألم تسمعا الخبر ؟ ألم تعرفا الى الان ماذا جرى ؟ قصَّ عليهما ما جرى يا داود . اخبرهما ماذا حلَّ بهذا اللئيم وابنه .

شهيدة — العركوش وابنه ؟

الياس — اي . هل اخبركم احد ؟

زينة — قد اخبرنا خليل .

الياس — اذن ماذا ننتظر بعد ؟ اين امي . في البيت . (يركض نحو البيت) شهيدة . شهيدة . تعالي معي . تعالي معي سنحاصر امي الحصار

الاخير واظنها تسلم بدون معارضة . (شهيدة تنهض وتتبعه)

داود — (آخذا بيد زينة) كيف تشعرين الان ؟

زينة — داود . داود ! لا ادري كيف اشعر وبماذا اشعر . في كل حياتي لم اشعر بما اشعر به اليوم . احب ان ارقص احب ان اركع واصلي ، احب ان اغني ، احب ان اقبل هذا الحجر وان اعانق هذه الشجرة وان احدث ذاك العصفور وان اضع كل هذه الازهار وكل السماء وكل الارض في قلبي . واظن ان قلبي طافح الان لانك انت في وسطه وكل هذه الاشياء تحيط بك . افوك عيني (تفرك عينيها) لاوءكد لنفسي اني لست في حلم بل في يقظة . احياناً يخيل الي اني قريبة من الجنون . هل انت فرخ مثلي ؟ (تضع يدها على كتفه وتنظر في عينيه)

داود — (باسماً) ألا تخجلين ان تسأليني هذا السوءال ؟ اخاف لو جئت لاصف لك فرحي ان يكون وصفي سكوتاً . انظري الى عيني . انظري الى حاجبي . انظري الى فمي . ضعي يدك هنا (يأخذ يدها ويقبلها ثم يضعها فوق قلبه) . هل تريدين خطيباً افصح من هذا الخطيب ؟ (يقبل يدها ثانية)

زينة — (آخذة يديه بين يديها) أو ، داود ! وكل ذلك من اجل ابنة جاهلة ، ضعيفة مثلي ؟

داود — وكل ذلك من اجل ملاك طاهر مثلك .

زينة — أتذكر لما قلت لي اول مرة « احبك يا زينة ! » ؟ قل ذلك مرة بعد .

داود — احبك يا زينة !

زينة — بعد .

داود — احبك يا زينة . احبك يا زينة . احبك يا زينة ! (يقبل يدها)

زينة — (تضحك واضعة يدها على فمه) يكفي . يكفي اخاف اذا اكثرت من اعادتها ان تنسى معناها وتعيدها كالببغاء .

داود — هل حدثت امك في الامر بعد ؟

زينة — لم يبق خوف من امي . خبر افلاس العركوشين سقط عليها كالصاعقة . اظن ان قد شق عليها جداً انها هي — ارملة بطرس سماحه وابنة جرجس العرموني مع كل فهمها وعقلها — لم تدرك غش العركوش وخداعه حتى آخر دقيقة . واظن انها تشعر مذنبة امامك وامامي وامام الياس لكن كبريائها لا تسمح لها ان تظهر ذلك . فالاحسن ان نتحاشى كل ما من شأنه ان يجرح محبتها الذاتية . (يظهر الياس وشهيدة في الباب خارجين الى الحديقة وسائرين نحو التفاحة) .

داود — ارى الياس وشهيدة راجعين بدونها . فما السبب ؟

زينة — لعلها تأتي عما قريب . ألا تعجب كيف انقلب الياس — كيف كان وكيف اصبح اليوم — وشهيدة كانت سبب انقلابه العجيب كما كنت انت سبب انقلابي . (الى الياس وشهيدة وقد اقتربا) اين امي ؟

الياس — جالسة في غرفتها تبكي وتلطم خديها .

زينة — (بدهشة) تبكي ؟

الياس — قبلت يديها ورجليها · توسلت اليها ان تخرج معنا الى الحديقة وهي تبكي وتقول —

« روحوا اعملوا اللي بدكن اياه · انا ريتني ما كون · » اذهبي اليها انتِ وداود لعلها تسمع طلبكما وتخرج معكما · (زينة تأخذ داود من يده وتسير معه نحو البيت ·)

شهيدة — ما اغرب اطوار امك ! أتصدق اني لم ارَ دموعها حتى اليوم ? وما اشد تأثير دمعة من عين امرأة جبّارة ، مستبدة كأمك · (تجلس على المقعد ·)

الياس — (واقفاً) لعلها تكفر بهذه الدموع عن هفواتها السابقة · لكن دعينا من البكاء الان · فلا دموع امي ولا بحار مثلها قادرة ان تعكر كأس سعادتي · (بحرارة) شهيدة ! (يأخذ يديها في يديه وينظر في عينيها ·) انتِ في الكل بالكل في هذا العالم · واكاد اعتقد ان العناية الالهية ارسلتك لنجاتي · شهيدة ! انا عاجز ان افسر لك اهميّة حبك في حياتي · قد مرّ بي اكثر من خمسة وعشرين ربيعاً · وفي كل ربيع كنت اخرج الى هذه الحديقة وارى هذه الاشجار مزهرة واسمع هذه العصافير تزقزق وارى السماء الزرقاء واشعر بصوت النسيم البليل · لكني قبل هذا الربيع لم اكن ارى الجمال في كل ذلك · واليوم لا ارى الازهار فقط بل ارى الحياة تدب في عروقها واكاد ألمس اريجها · اليوم لا ارى زروقة السماء فقط بل ارى ما وراء السماء ولا اشعر بالنسيم فقط بل ألمس روح النسيم · واسمع تغريد العصفور فافهم

ما يقوله العصفور · وكل ذلك لان حبك قد اعطاني نوراً جديداً لعيني وقد كنت بدونك اعمى (يضع يدها اليمنى ثم اليسرى على فمه ثم يجلس بجانبها ·) شهيدة ! ما اجمل الحياة !

شهيدة — (تقهقه مخرجة من جيبها ورقة ثم تقرأ بتمهل) بتاريخه نحن الواضعين اسماءنا ادناه قد تعهدنا ان نضع حداً لحياتنا بواسطة المشنقة ··· (تضحك)

الياس — (يخطف الورقة من يدها بلطف باسماً) ألا يكفيك هزءاً بي حتى تذكريني بجنوني في مثل هذه الدقيقة التي احسبها بدء حياة جديدة لي ? كان دهراً قد مرّ من يوم كتبت هذه الورقة حتى اليوم · لندفن الماضي ! (يمزق الورقة قطعاً صغيرة) فانا اتعهد الان على نفسي ان اشنق كل من لا يرى في الحياة سوى اشواكها وكل من يفرق بين قلبين يربطهما حب كحبنا · (تظهر في الباب ام الياس وقد اخذت زينة بيدها اليمنى وداود باليسرى وخليل يمشي وراءهم والكل يسيرون نحو الياس وشهيدة)

شهيدة — (بمزح) أوَ تشنق امك كذلك اذا اصرّت على رفضها بقبول اتحادنا ? (اذ ترى ام الياس قادمة) ها هي قادمة نحونا — فماذا تفعل اذا اقتربت مني وصاحت — « اغربي عن وجهي ? (تبسم)

الياس — انا اكفل رضاها · انا اعرف كيف ارضيها الان ·

زينة — (وقد اقتربت مع الباقين من المقعد · الى امها) اجلسي يا امي ، يا حبيبتي ، فقد تعبتِ (تجلسها بلطف وحنو · الياس وشهيدة ينهضان)

ام الياس – (تجلس وتتنهد تنهدة عميقة وآثار الدموع باقية على خديها)
اوف . اوف ... لا بعرف . ولا بدري ...

الياس – (الى امه ، بعد سكوت قصير) اسمعي يا امي . مرّ بي زمان طويل لم احدثك فيه كأمي وكثيراً ما كنت انسى تماماً ان لي اماً . انت كنت تحسبيني ابلهاً او مجنوناً او نحو ذلك . وانا لا انكر اني كنت غريب الاطوار ، متقلب الافكار ، سريع الغضب ، كثير الزهد ، قليل الكلام ، قليل الضحك . انا ابغضتك مرة بل مراراً يا امي لتصرفك مع زينة وانقيادك للعركوش وبغضك لبقية الناس الذين لا يصلبون كما تصلبين ولا يصلون في الكنيسة التي تصلين فيها . (ام الياس تبكي)

زينة – (مبكتة) الياس ! الياس ...

الياس – مالنا وللماضي يا امي . اليوم يجب ان تضحكي وترقصي ولو كنت عجوزاً . ابنك الياس كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد . ولم يقمه من الاموات ولم يجده ويرجعه اليك سوى هذه الروح النقية الطاهرة (يأخذ شهيدة من يدها ويجذبها الى الامام ويوقفها بجانبه) شهيدة هي التي ارجعت اليك اثنين من بنيك . لولا سهرها ومحبتها واعتناؤها لما كانت زينة واقفة بيننا الان (ام الياس تتنهد) ولولا حبها ونقاوة روحها وعظم اخلاصها لما كان ابنك الياس اليوم من الاحياء . امي ! انا لا اقدر ان اعيش بدون شهيدة . لذاك اطلب اليك ان تباركيني معها كعريس وعروس . وان تقبليها كأبنتك الثانية . (يركع مع شهيدة امام امه)



السلام يا ملك اليهود = للمصور شيندلر

ام الياس — (متنهدة وباكية) ايش مني ومن بركتي انا ؟ الله يباركَكم يا ابني · (تضع يدها على رأسيهما · الياس وشهيدة ينهضان ويقبلان يدها)

الياس — سترين منا ما يفرح قلبك ويجعل آخرتك سعيدة يا امي ·

ام الياس — ان شا الله بتعيشوا العمر كله يا بنيي (سكوت)

داود — (متقدماً نحو ام الياس) والان قد جاء دوري · ام الياس — أم تسمحين لي ان ادعوك كذلك امي ؟ انا اعرف انك ابغضتني من اول يوم رأيتني في بيتكم · وزاد بغضك لي لما علمت ان زينة تحبني واني احب زينة ابغضتني لانك ظننتني هرطوقياً · وظننتني هرطوقياً لاني لا اذهب الى كنيسة · وانا يا ام الياس مسيحي ، واجتهد ان اكون مسيحياً على قدر امكاني · انا مسيحي بدون كنيسة لكني اجتهد ان لا اسرق ان لا اقتل ان لا ازني ان لا اشهد بالزور · فاسألك باسم يسوع نفسه ان لا تبغضيني لاني احب يسوع · لا تبغضيني لاني اريد ان اجد فيك اماً ثانية · ولان محبتك لي ولزينة تضاعف سعادتنا — انت ابغضتني كذلك لاني فقير -- وانا لست فقيراً يا ام الياس· لا الاف عندي مخزونة — انما عندي عزم · وعندي محبة · وعندي قوة · وعندي قليل من العقل — وذاك يكفيني لتحصيل معاشي ومعاش رفيقتي بشرف وعزة نفس · انت ابغضتني كذلك لان لا حسب لي ولا نسب · نسبي وحسبي — انا ، لا غيري · ولا اريد ان ألبس وساماً من الشرف منحوتاً من عظام آبائي واجدادي · حسب العركوش ونسبه لم يخلصاه من السجن· وبعد كل ذلك فانا لا اقدر ان اعيش بدون زينة وزينة لا تقدر ان تعيش

بدوني . اعدكِ هنا امام الله اني ساحافظ عَلَى زينة اكثر مما احافظ عَلَى حدقة عيني . اذا كنت اسأت اليك بشيء فارجو المعذرة . اقدم نفسي كما انا — مسيحياً بدون كنيسة ، وشاباً بدون غنى ومعلماً بدون حسب ونسب . زينة راضية بي فهل انت راضية كذلك ؟ (ام الياس تبقى صامتة مطرقة بالارض) انا اطلب رضاك عَلَى الاخص لاجل زينة . هي تحب ان تبقى تحت جناحك ما دام لها الى ذاك من سبيل . واطلب رضاك لنفسي كذلك لاني ، كما قلت ، احب ان اجد فيكِ اماً ثانية .

زينة — (تجذب داود من يده وتركع امام امها فيركع داود بجانبها) امي . امي ! باركينا !

ام الياس — (بعد سكوت وتردد تباركهما باكية) الله يكون معكم يا بنتي الله يبارككم — (داود وزينة ينهضان ويقبلان يدها)

زينة — (تنطرح عَلَى عنق امها) امي . امي . ما احسنك لما تكونين راضية . ابقي هكذا دائماً (تعانق شهيدة) شهيدة حبيبتي ! تمت امانينا

خليل — (يقع عَلَى ركبتيه امام امه ويخرج من جيبه قنينة عرق . يرفعها في يده) امي . امي . باركينا . لا انا بقدر عيش بلاها ولا هي بتقدر تعيش بلايي ! (الحضور يقهقهون . الياس يأخذ امه من يدها ويمشي معها ومع شهيدة نحو البيت . داود وزينة يتبعانهم)

خليل — (متكئاً عَلَى عصاه) كل من حبيبه عنده . وانا بيبعت لي الله ! (يبرم العصا في يده) أي ! داود . داود . (داود يلتفت الى الوراء) عاوزك

بكلمة . (داود يرجع اليه)

داود — مالك ؟

خليل — (ضارباً بيده اليسرى كتف داود اليمنى) حط ايدك هون ! (يهز يده) عندك نقفة دين عروس روح جوات سبع بحور ما بتلاقي متلها . زينة ما حدا لبق لها غيرك . عيش بصحايفك ! انا مبسوط لك من كل قلبي . (بعد سكوت قصير) . وينك — ولو طلعت تقيله — معك تقرضني شي ليرة — ليرتين . الليلة برد لك ياهم — فايض الماية ماية . عيب بهالشوارب ان ما رديت لكش ياهم . (يمسك شاربه)

داود — لكن — خليل ...

خليل — (يقاطعه) لا تقول لي كاني ماني — وحياة شواربك وشواربي هي آخر مرة . شو مخمني انا ما بعرفش عيش بلا لعب قمار ؟ بكرا بدور لي عاشي بنت حلال متلك وبتجوز — لا بعود بسكر ولا بعود بلعب — قلت لك وحياة شواربك .

داود — (يخرج جزدانه ويعطيه بعض العملة) هذا ما اقدر ان اعطيك الان — ويا ليتك تبر بوعدك . وتترك القمار (يتبع الباقين)

خليل — عيش وحدك . شاباش لعيونك . (يقف برهة حائراً . ينظر الى الدراهم تارة ثم يخرج القنينة من جيبه وينظر اليها اخرى ويغني) كل من حبيبه عنده — وانا بيبعت لي الله !

(انتهت)

فراشة في المدينة

لنعيمه الحاج

* * *

تمتطي الريح بين رفعٍ وخفضِ   وتجوب الفضا بطولٍ وعرضِ
بجناحين خافقين لبعضٍ   مثل جفنين بين فتحٍ وغمضِ
او كخفق الهوا شراع السفينه

ذات ثوب مطرزٍ لمّاع   شفّ حتى تراه مثل الشعاع
وتجاري البراق بالاسراع   وهي بالحسن آيةُ الابداعِ
لبست حليها الطبيعي زينه

يبهج القلب حسنها والعيونا   ويزيد الفتى المشوق حنينا
تلمح الشك اذ تلوح يقينا   ليس شيء يستوقف الفكر حينا
مثل مرأى فراشة في المدينه

من مكان لآخر بانطلاقِ   به تحكي خواطر العشاقِ
يا ابنة الحقل ان نار اشتياقي   وهجها في جناحك البرّاقِ
آه لو كنتِ للفؤاد معينه

ما عهدنا الفراش في الاسواق   بل علَى الزهر في ضفاف السواقي
حيث يمسي مع الندى في عناق   ويطيب الضمام للمشتاق
فوق زهر الربى بظل السكينه

اتركت الورود والاقحوانا   وهجرت الرياض والبستانا
والنسيم العليل والغدرانا   وأتيتِ تستنشقين الدخانا
عمركِ الله ساء ما تفعلينه

ما تريدين في الشوارع ماذا   أترومين ملجأ ام ملاذا
ان في السوق ليس هذا ولا ذا   خاب من راح يقضم الفولاذا
ويرجي من عوسج الحقل تينه

ليس الا الغبار والغازات   ههنا والضجيج والمركبات
وزحام بوسطه الناس باتوا   يهصرون الحياة بئس الحياة
تتقضى علَى الحطام رهينه

ام ترى جئتِ كي تجوسي الديارا   وتجوبي الربوع والاقطارا
فتعالي أسرد لكِ الاخبارا   وأصيخي فاكشف الاسرارا
معلنات كنه الامور الدفينه

لا تُغري بكل ما تنظرينا   ان رأيت الرواء يسبي العيونا
ان هذا البناء لو تعلمينا   رغم هذا الطلاء يحكي السجونا
أفترضين ان تكوني سجينه

ولتلك التي دعوها قصورا   ملأوها من شيدوها شرورا
وهي تحكي بساكنيها القبورا   حجبت عنهم الهوا والنورا
ليس غير الدجى بها والضغينه

وترين الانام ليلاً نهارا   في نزاعٍ لا يعرفون القرارا
تخذوا الله ربهم دولارا   ثم راحوا معربدين سكارى
لا يبالون بالذي يصنعونه

هنا المكر هنا الآفات   والدها والاطماع والشهوات
هنا بالناس تلعب الغايات   حبذا الحقل حبذا الفلوات
فهناك الهناء لا في المدينه

فاهجري السوق والحمى والاناما   واقصدي الروض والربى والخزاما
وانشقي الزهر ضاحكاً بسّاما   واذا ما سمعتِ هذا الكلاما
فانقلي للطيور ما تسمعينه

ليتني مع حبيبتي وكلانا   في رياض وليس معنا سوانا
نقطف الزهر نقصف الاغصانا   نرشف الثغر نهتف الالحانا
ونقضي ساعات انسٍ ثمينه

يا ابنة الحقل تاه فكري لديكِ   آه لو كان لي وصول اليكِ
ان روحي ترف وجداً عليك   وفوءادي ارق من « جنحيك»
فلهذا تظل نفسي حزينه

نعمه الحاج

الرمس

للكاتب الافرنسي الشهير غوي دي موباسان

* * *

في صبيحة السابع عشرة من تموز سنة ١٨٨٣ عند الساعة الثانية ونصف استيقظ حارس مقبرة بيزيه من سباته في كوخه الحقير الواقع في طرف المقبرة عَلَى نباح كلبه المسجون في المطبخ ·

فهبَّ من مضجعه فاذا بالكلب ينبح نباحاً شديداً ويشم عتبة الباب كأنه يعلم بوجود غريب بجوار الكوخ · فحمل الحارس المدعو ڤنسون بندقيته وخرج متحذراً ·

واندفع الكلب امامه واسرع راكضاً في زقاق الجنرال بوني حتى وقف امام التمثال المقام فوق قبر السيدة توموازو

وبينا الحارس يتقدم متلصصاً أبصر نوراً ضئيلاً في زقاق مالانڤير · فاجتاز بين القبور بتأنٍ الى ان تجلى لعينه مشهد رهيب ·

رأى امامه رجلاً ينبش قبر صبية دُفنت هنالك بالامس وقد أخذ باخراج جثتها من الرمس ·

وكان القنديل الصغير الموضوع فوق كومة من تراب القبر يلقي أشعته عَلَى هذا المنظر القبيح ·

فهجم الحارس عَلَى الشاب التعس وصرعه. وأوثق يديه وساقه الى دائرة

الشحنة .

هنالك اتضح ان الرجل محامٍ شاب شهير في المدينة طيب السمعة عَلَى جانب من الغنى واسمه كورباتايل .

فحوكم . فوقف المدعي العمومي وذكر القضاة بحادثة فظيعة جرت من هذا القبيل فاثار بكلامه غضب الحضور كلهم . وسرت رعشة الاستياء في القاعة كلها . ولم يكد المدعي العمومي ينهي خطابه حتى هتف البعض - فليقتل ! فليعدم ! ولم يستطع رئيس القضاة ان يهدىء الجمهور الا بشق النفس ولما أتيح له ذلك نطق بلهجة الرئاسة الرنانة قائلاً

-- ايها المدعى عليه . ألك ما تقوله دفاعاً عن نفسك

فنهض كرباتايل ، وكان قد رفض ان يُقام له محامٍ للدفاع ، ولما انتصب شاهده الناس شاباً جميلاً طويل القامة اسمر اللون ، وجهه جلي الملامح يتجلى فيه العزم وطرفه ينم عن جسارة واقدام .

فصفر له بعض الحضور استياءً واستهزاءً .

ولكنه لم يضطرب بل أخذ يتكلم بادىء بدء بصوتٍ واطىء أجش . وما عتم ان تقوى صوته وارتفع

-- « سيدي رئيس القضاة !

وسادتي المحكمين !

ليس لي ما اقوله الا القليل . ان الامرأة التي دنست قبرها هي حبيبتي وكنت اهواها .

لم يكن حبي لها ميلاً بسيطاً أو انعطاف قلبٍ ونفس وقتي تافه ، بل كان هياماً لا حدود له وهوىً خارقاً مدلهاً يخبل العقل .

أعيروني سمعكم !

عندما صادفتها لاول مرة سرى فيَّ شعور غريب

لم يكن ذلك الشعور دهشة ولا انذهالاً ولا شعلة مبرقة أو ثوراناً وقتياً بل كان شعوراً بنعمة رغيدة مفعمة مدهشة كأني القيت في ماء حمام فاتر . كانت حركاتها تأخذ بمجامع القلوب ، وصوتها ساحر كالطلاسم ، وكيانها كله يجلب سعادة لا تُحد . وخيل لي اني اعرفها منذ زمن بعيد ، او اني رأيتها قبلاً ، وشعرت ان بيننا قرابة نفسية تربطنا .

وكأني بها ظهرت لي تلبية لنداء قلبي -- ذلك النداء الخفي الابدي الذي نوجهه كل حياتنا نحو الرجاء

ولما تعرفت بها وتقربت منها صرت اذا فكرت بروءيتها فقط أحس برعشة السعادة العميقة . وكنت أحسب لمس يديها غبطة لم ادركها قبلاً . وكانت ابتسامتها تهيج فيَّ سروراً جارفاً متجاوزاً حدود العقل يدفعني الى الوثب والرقص والتمرغ في التراب .

ثم صارت عشيقتي .

بل صارت اكثر من ذلك -- صارت حياتي . فلم أعد ارجو من عيشي شيئاً أو اشتهي أمراً أو احسد أحداً .

وبينا كنا نتنزه ذات يومٍ توغلنا في السير عَلَى شاطىء النهر ففاجأنه

مطر رذاذ بللنا · فاعتراها برد اضعف قواها ·

وفي اليوم التالي اصيبت بالتهاب الرئة · وبعد اسبوع ماتت ·

ولما كانت تنازع بين الموت والحياة منعني الخوف والاضطراب من ان أفهم أو أدرك ما يجري حولي ·

فلما ماتت صرعني يأس مخدر فلم تبقَ في رأسي فكرة واحدة · فكنت ابكي فقط ·

وفي اثناء أطوار الجنازة الرهيبة تحولت مصيبتي الحـادة المتناهية الى عذاب جنون — فكانت الامها فظيعة قاسية عليّ ·

ثم لما فقدتها — لما ووريت في لحدها انجلت افكاري فجأة وانقشعت الغشاوة عن عقلي واتضح لي ما تمّ فقاسيت من الالام النفسية ما تتضاءل امامه قوى الهيام ·

حينئذٍ ساورتني فكرة لجوجة موءداها — اني لن ارها قط ·

اذا تمعن امروء بهذه الفكرة كل نهاره فلا شك ان الجنون يستحوذ عليه ! تصوروا ذلك انفسكم ! بقربكم شخص توءلهونه · شخص وحيد لا مثيل له علَى وجه البسيطة · وهذا الشخص استسلم اليكم · فتكون من ذلك الاتحاد ميثاق سري ألهي يدعى حباً · عينا ذلك الشخص أعمق في عرفكم من المسافات واعز من العالم باسره · كيف لا وهما عينان براقتان يبتسم منهما اللطف ! ذلك الشخص يحبكم · واذا حادثكم فصوته يبث في اعماق نفوسكم سيلاً جارفاً من السعادة ·

وبينما انتم تتنعمون بهذه السعادة اذا بالشخص قد تلاشى ! تأملوا بربكم ! الشخص مات · أفهمتم هذه الكلمة ؟ هيهات ثم هيهات ان تروه فيما بعد · وهيهات ان تستجلي هذه المعين شيئاً من محاسنه ، وهيهات ان يلفظ هذا الصوت — وهو اشبه اصوات الأحياء بصوته — كلمة واحدة كما لفظها صوت الحبيب ·

هيهات ان يخلق وجه كوجهها الجميل ابداً · كلا ابداً · وقد يسهل حفظ الهيئة التي صنع النحات تمثاله بموجبها ويهون حفظ الاثار والألوان التي اخذ المصور عنهـا صورته ، ولكن ذينك الجسد والوجه لن يعودا الى الارض قط · قد تتولد الوف بل ربوات بل ملايين من الخلائق وربما اكثر من ذلك ، ولكن هيهات ان يكون بين كل نساء المستقبل امرأة مثل هذه الامرأة · فمن يستطع احتمال هذه التصورات ؟

وما اسهل ان يمس المرء بجنة اذا أعمل فكرته في هذه الامور !

عاشت عشرين سنة لا غير ثم اضمحلت الى الابد بلا رجوع · كانت تفكر وتبسم وتحبني — هذا كل ما فعلت · أليس الذباب الذي يموت في الخريف يشبهنا نحن البشر ويشغل مكاناً مساوياً لنا في الكون ؟ فهو مثلنا لا شيء يبقى منه ! طفقت أفكر في ان جسمها البض الناصع المتوهج النضير سيبلى وتلعب به ايدي الفساد داخل النعش اسفل الرمس ·

اين اذن نفسها وافكارها ؟ اين حبها ؟ اين ؟

هيهات ان اراها فيما بعد هيهات ·

حامت افكاري حول ذاك الجسد المنحل وتأثرتني فلم استطع التملص منها · وتصورت اني استطيع ان اعرف ذلك الجسد رغم الانحلال · فدفعتني الرغبة الى النظر اليه مرة اخرى ·

فذهبت لاتمم رغبتي واخذت معي رفشاً وقنديلاً ومطرقة وتسورت حائط المقبرة فاهتديت الى حفرتها ولم تكن قد رُدمت بعد حق الردم

فنبشت عن التابوت ورفعت خشبة من خشباته فتصاعدت الى وجهي رائحة خبيثة أخذت بانفاسي · آه اين منهـا رائحة فراشها المضمخ بعبير السوسن !

فتحت التابوت متجلداً وادخلت القنديل اليه فرأيتها · ونظرت الى وجهها فاذا به مزرق منتفخ مخيف · وقد سال من فمها لعاب لمسود كريه

أهذه هي ؟ أجل هذه هي · عند هذا اعتراني انقباض ونفور · عَلَى اني تجالدت ومددت يدي وقبضت عَلَى غدائرها لاجذب وجهها الفظيع الي

عندئذٍ ُقبض عليَّ ·

كما يذكر المرء أرج حبيبته بعد عناق وفغام في الغرام هكذا ظللت كل الليل اتذكر نتانة تلك الجيفة — رائحة حبيبتي

فاصنعوا بي ما تشاءون ·»

حينئذٍ هبطت عَلَى القاعة سكينة غريبة ·وصمت الحضور كأن عَلَى روءوسهم الطير او كأنهم يتوقعون امراً مبهماً · وذهب المحكمون الى غرفتهم للمداولة ·

ولما عادوا بعد بضع دقائق لم تظهر عَلَى وجه المتهم أقل علائم الفكر ولم يبدُ عليه أثر للاضطراب ·

فأعلن له رئيس المحكمة بالعبارات المصطلح عليها انالقضاة قد برأوا ساحته ·

ولكنه لم يعر ذلك التفاتاً ولم يحرك ساكناً · اما الجمهور فصفق ارتياحاً



اذا اردت ان تسأل فاسأل من كان في غنى ثم افتقر · فان الغني يبقى في قلبه اربعين سنة · ولا تسأل من كان في فقر ثم اغتنى ، فان ذل الفقر يبقى فيقلبه اربعين سنة ·

*****

كان جعفر البرمكي يقول لكتابه — ان استطعتم ان يكون كلامكم كله مختصراً مثل التوقيع فافعلوا ·

الحرية

لراغب متراج

انا والدة واشنطن ، وابنة كرومول ، وشقيقة ميرابو ، وحبيبة المكابيين

القوة في يميني والحق في يساري .

النور في جبهتي والدمآء تحت قدمي .

بموت محبي أحيى وبحياتهم أموت

الشجاعة امي والاقدام والدي .

العزة ترسي . والمجد حسامي .

المظالم تولدني والسيف يحميني .

اكره الضعف فاهرب منه . واما القوة فألتصق بها .

القوي يطلبني بحد سيفه وقوة جنانه . والضعيف يطلبني بصلواته واحلامه

الباسل يحملني على منكبيه مفتخراً والجبان يهمس اسمي في بطون الكهوف مرتجف الركبتين

الفكر يحييني والصغارة تميتني

الجوع نصيري والرخآء عدوي

ولدت في عهد هوميروس وليونيداس واشيل . وربيت مع سبارتاكس وكرومول وروبسبير .

انا الاهة في المغرب وشبح مخيف في المشرق

الغرب يعبدني ويكرمني والشرق يغمض عينيه كي لا يراني .

في نيويورك ولندن وباريس تمثالي وفي الاستانة ودلهي وباكين سجني

مررت في البلقان فارتجت الارض لاصوات المدافع . وارسلت انفاسي مع ريح السموم فصبغت الصحراء بالنجيع .

وحلقت في سماء ارض الميعاد فحوّل الناس ابصارهم عني مولولين

انا عدوّة الظلم والجهل والتعصب ونصيرة العدل والعلم والفكر الحر

انا معزية المستشهدين ومستحثة المظلومين

في حضني تضطجع الجبابرة وتحت جناحيّ تستظل الامم

الكريم لا يستبدلني بالحياة والحقير يقنع بالسلامة دوني

انا جوهرة في جبهة الاسد لا ينالني سوى الشجاع الجريء

انا كنز من كنوز السعادة

انا هبة الخالق للمخلوق

انا الحرية



عصر سميراميس

(نبذة تاريخية)

* * *

اذا ذُكرت شهيرات النسآء في التاريخ القديم فلسميراميس منهنَّ مقام في الطليعة ومجلس في الصدر · كيف لا وقد تحدثت بذكرهـا الرواة والموءرخون وأعظموا قدرها وقالوا انها كانت ملكة نينوى الواسعة وموءسسة بابل ومخضعة الممالك وبانية الرياض المعلقة وناشرة سلطة اشور من الاوقيانوس الهندي الى البحر الاسود · واليها عزوا اعمالاً عظيمة اهمها نشر العمران في اسيا الصغرى ولا سيما في ارمينيا والاهتمام بمملكة واسعة ادارت شوءونها ادارة عجزت عنها الرجال ·

هذه هي سميراميس الملكة الشرقية العظيمة · غير ان بحثة التاريخ قد اختلفوا في حقيقة أمرها ·

أول من ذكر اسم هذه الملكة هو الموءرخ اليوناني كتيزياس الذي كان طبيباً في بلاط ارتكسر كس الثاني (سنة ٤٠٠ ق·م) · روى هذا الموءرخ ان الملك نينوس باني نينوى وزوجته سميراميس هما اللذان اسسا مملكة اشور المنبسطة في اسيا حتى اطراف بلاد الهند · وان سميراميس كانت قبلاً زوجة



سميراميس — للمصور ڤيمر

لاحد قواده المدعو أونيس فأعجب بها الملك وأحبها لعمل عظيم قامت به وهو فتح مدينة باكترا بعد ان عجزت عنها جيوشه وتزوجها ثم بعد موته تبوأت عرش اشور وادارت شوءون الملك بحكمة ودراية وطفقت تطوف في انحآء البلاد وتخطط المدن الكبرى (ومنها بابل) وتقيم الاثار العظيمة وتبني الطرق وتسهل العقبات وتخضع الممالك · ولم تخفق الا في حربها مع الهند · وبعد ان ملكت ٤٢ سنة سلمت الاحكام الى ابنها نينياس وتوارت · أو كما ورد في الاصل استحالت حمامة وطارت الى السماء وغدا القوم يعبدونها كألاهة · فمنهم من ألهها كعشتاروت أو حسب الاثنتين واحدة · ومنهم من تعبد لها مسمياً اياها الاهة الحرب والحب ·

عَلَى ان بعض الموءرخين يأبون تصديق قصة سميراميس كما اوردناها ويقولون ان مجرد ورود ذكرها في ما كتبه كتيزياس غير كافٍ للجزم بأنها كانت حقيقة في التاريخ · وهم يعدونها خرافة من الخرافات الكثيرة التي وردت في اساطير الاولين ولا سيما بعد ان تشعبت الاراء في امرها

وقد جآء في الاساطير عنها انها كانت سورية المولد · نشأت وترعرعت في غربي سوريا حيث كان الحمام يأتيها بطعامها وهي طفلة ويعولها حتى اكبرت · وقيل ايضاً ان نينوس هام بها لما كانت زوجة لسواه واستخلصها منه بالقوة — الى غير ذلك من الاقوال التي تدفع الموءرخين الى الاعتقاد بان هذه الملكة الشرقية العظيمة لم تكن قط وليس لقصتها أصل ·

بيدَ ان علمآء التاريخ قد ظفروا منذ أعوام بآثار قديمة قد تثبت للورى

شيئاً من أمر سميراميس غير ما روته الاساطير فقد عثر المنقبون في اسيا الصغرى عَلَى أثر يتصل تاريخه بزمن الملك اداد نراري (سنة ٨٠٠ ق ٠ م) اقامه احد الولاة البابليين وبه يبجل امرأة يدعوها مولاته واسمها شمورامات٠ وعثروا ايضاً بعد ذلك في اشور القديمة عَلَى نصبين محفور عَلَى احدهما اسماء ملوك اشور وعَلَى الاخر اسماء نوابهم ٠ وبين اسماء الملوك يرد ذكر امرأة لها علاقة بثلاثة منهم ٠ وهي شمورامات سيدة بلاط الملك شمسي اداد ، وأم الملك اداد نراري ، وجدة شلمناصر الشاب ٠

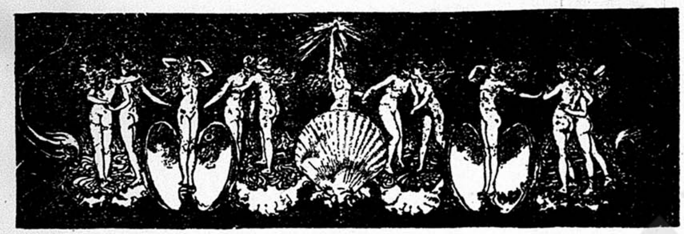
وهذه ترجمة النقش الذي ورد فيه اسم هذه الملكة —

« نصب شمورامات سيدة بلاط الملك شمسي اداد ملك العالم »

« وسيد اشور ، وام اداد نراري ملك العالم وسيد اشور ٠٠٠ »

« شلمناصر ملك اربعة انحاء الارض »

عَلَى هذه الصورة يثبت لنا التاريخ حسياً انه من المستحيل ان تكون سميراميس أو شمورامات هذه موءسسة لمملكة اشور ٠ فانها كانت في عصر مضت به ثمانمائة سنة عَلَى تأسيس هذه المملكة الواسعة ٠ ولا يصح هذا الا في عقل موءرخ اجنبي ككتيزياس الذي كتب قصة عن سميراميس بعد ورود اجيالٍ عَلَى وقوعها فخبط في مــا كتبه خبط عشواء غير ملم بتاريخ اشور الحقيقي وقد يمكن انه استعار ما كتبه من اسطورة مادية اقتبسها اهل مادي عن الكلدانيين ٠ وعَلَى كلٍ فاسطورة سميراميس بما فيها من الجمال والمبالغة تدلنا عَلَى ما كان للمرأة من المكانة في الزمان القديم عند الكلدانيين والاشوريين



حورية البحر

للشاعر الرومي قسطنطين بالمونت

* * *

١

في مملكة عذارى البحر المنبسطة عَلَى قعرِ الخضم المظلم الرطيب يدوي في الارجاَء دون انقطــاع لحن مبهم تغنيه غادات العمق غير شبيه بالحان الاحياَء ، ولا أثر به لرعشات الجوى ، ولا لانين السنين الغابرة ٠ ولا بدع ، فليس في تلك المملكة من ازاهرأو بشر أو تذكارات يخفق لها الفوءاد ، ولا من امواج تتلاطم بضجة أو اشعة نور تتألق وتتكسر — ليس الا ترنيمة اولئك العذارى تدوي كأنها في حلم -- تلك ترنيمة لا تخص أحداً منهن اذ انهن جميعاً متساويات في ذلك العمق الرطيب ٠ لهن طراً ضحكة واحدة خالية من أثر الصوت ، ولهن جميعاً احلام متشابهة يرتعون بها ٠

لا موت يسطو هنالك بين الاحجار والاسماك الجميلة ، فلذلك لم يهلك أحد من العذارى رغم توالي السنين المتشابهة ٠ فكن جميعاً يمرحن مرنمات

بين النباتات الشفافة المنتصبة الشبيهة بهنّ في خلوها من قطرات الحياة ، ناظرات بعيون جميلة شفافة ، لا يشترين شيئاً بالام النفس ولا يبعن بشيء نفوسهنّ ، منشدات لحناً ينم عن احلام صامتة حاثاً عَلَى الاستسلام الى النوم يقول

— نمنَ يا عذارى الاعماق نمنَ ! فما اجمل قعر هذا العمق ، وما اجمل اننا كلنا به متساويات .

٢

بيد أن صوتاً جديداً ضعيفاً يشبه الهمس نطق ذات يوم لاول مرة بين اولئك العذارى الحالمات — صوت لطيف يشبه تنهد العشب فوق الارض قال همساً

— عفوا يا اخواتي الجميلات عن جسارتي فاني لا استطيع ان اصمت . انا منكنّ ولكني لست مثلكنّ ولا ابتغي ما تبتغونه . انا خيالية مثلكنّ من عذارى العمق ولكني اشعر بحاسة غريبة قد عكرت صفآء احلامي . انا جميلة بين الجميلات . انا هيفآء ناصعة البياض . ولكني غير مكتفية بهذه المزايا والصفات . واريد ان اعلم هل اعطيت الحقيقة لنا وحدنا . نحن هنا نسرح ونمرح ونستنشق هذا السائل ما بين الحجارة الكثيرة الالوان ، ولكن من يدري ؟ فلربما يعيش الناس عَلَى سطح الارض حياة احسن من حياتنا ويستنشقون الهواء ويحبون بحرية افضل مما عندنا . فماذا تقلنَ لو خرجت الى سطح الامواج حيث تمر السفن وشاهدت الافق والشمس المشتعلة في البعد؟

وكأن العذارى فهمنَ ما مُنع عليهنَّ فهمه فصمتن وهبط الظلام عَلَى قلوبهن واصفرت وجوههن فغادرنَ المكان مرتجفات يعثرنَ زالقات كأنهنّ سمعنَ صوتاً حُظر عليهنّ سماعه

٣

اما تلك العذراء فظلت لوحدها واستولى عليها البرد والاصفرار وتولاها الرعب لانها كانت تخاف الوحدة وتحب حلقات الجماهير الراقصة وتهوى تلك المياه التي ألفتها عَلَى توالي الايام المتشابهة . وكانت تحب اخواتها اللواتي غادرنها الان وحيدة وتعشق احاديثهن وامانيهنّ وألحاظهنّ الشفافة . فاين تذهب من هنا ؟ أتمضي الى الارض ؟ ألا يمكن ان تكون الارض مظلمة ؟ أو ألا يجوز ان تكون خالية من الغرائب والعجائب المدهشة التي تكثر في قعر البحار ؟ بل كيف تستطيع وهي هوائية لطيفة ان تخترق كثافة هذه المياه المتراكمة ؟

ولكن دافعاً من افكارها دعاها الى المخاطرة كما يدعو الحبيب المطاع فلا تعصى أوامره فاغراها بالذهاب .

٤

وبينا هي عَلَى هذه الحال فطنت ان في بعض مجاهل العمق مكاناً رهيباً رائعاً محظوراً عليها وعَلَى اخواتها ان يطرقه . وفيه مغارة سرية يقطنها شخص مبهم لا يدري أحد من هو . قيل انه ساحر أو ساحرة أو تنين أو سيد الحياة أو سلطان البحر . عَلَى انها لم تكن تعلم شيئاً من حقيقة أمره لانها لم تشأ

سابقاً ان تخترق حرمة المحرمات . اما الان فسهل لها عزمها اختراق المحظورات فجثت عَلَى باب المغارة وهتفت متضرعة قائلة

— اهدني الى الطريق المهيأة لي

فدوى في الظلام القـاني الرائع المخيم في ذلك العمق صوت آمر قدير يقول

— أأنت ايضاً جئتِ اليَّ يا ابنة البحر ؟ قد أتى قبلك اليَّ كثيرات من عذارى العمق حين اشتهينَ ان يغادرن هذه الانحاء الى مجاهل العالم فظفرنَ بما أملنه وصرنَ في ذلك العالم المجهول كباقي البشر . ولكن أعلمي يا هذه انه لا رجوع من ذلك العالم الى هنا . لا عودة الا لجثث الغرقى لتقص علينا اخبارها ووقائعها في الزمان بشفاه ميتة تعلوهـا ابتسامة المرارة . لا نطلبي مني ان اقول لك شيئاً عما في ذلك العالم . فاذا اردت الانطلاق اليه فدونك . سأدلك عَلَى طريق سرية تقودك اليه .

ثم انحنى الشخص المجهول فوق العذراء وهمس في اذنها قائلاً

— اليوم انتصاف القمر . اليوم يملك القمر . اسمعي — ان في البحر مسالك خفية عديدة فلتقدك قدمك الى احدها . تصلين اليها فيتم ما قُدر لك وتغادرين عالم المياه وتدخلين عالم الهواء فتصبحين تتنفسين كباقي البشر . ولكن قبل ان تصلي الى العالم ستتغير هيئتك فلا تبقين كما أنتِ غادة بيضاء بل تستحيلين اولاً زهرة من ازاهر البهاء ثم تصيرين حورية لطيفة مكللة بمحاسن النساء . فتودعين هذه الصحراء المائية بنفس مفعمة

بخفايا العمق . ثم بعد ليلة من ليالي القمر مملوءة بالاسرار تقضينها عَلَى ظهر موجة متقلبة تستيقظين وتفتحين عينيكِ فترين الشمس في قبة السماء .

٥

ما اجمل الليالي الخيالية لاولئك الذين احبوا ثم خمدوا ! ما اجملها لاولئك الذين يشعرون بقصر ساعة اللقاء الشهية في الحب !

وما اجمل تأثير القمر المولود جديداً اذ يكون هلالاً صغيراً يكاد لا يظهر للعيان ! ان ذلك التأثير لاشد فعلاً في قلب الامرأة الحساس من احلام باسقة فخمة .

ولكن اجمل من هذا وتلك ، وأفعل في القلوب بجلاله وعظمته مشهد زهرة لم تنفتح اوراقها بعد .

ألا فلتوءبَّد ولتخلد جسارة تلك النفس الغريبة التي طمحت الى الارض

— تلك الوردة الجميلة التي ظهرت عَلَى سطح الامواج ساعة ولادة القمر تجاذبتها المجاري لما طفت من الاعماق حتى وصلت الى الموجة التي قيل لها عنها مدفوعة بعاطفتها المجهولة وقوة امانيها الخفية . وهنالك استسلمت الى الليل ففتحت اوراقها ثم تمت ولادتها ولادة ثانية فاستحالت حورية لا يحلم الليل بها .

ولاح الصبح في المسآء فشعرت بدفء منعش في اعضائها ففتحت عينيها فابهرتها الشمس البازغة .

٦

ظلت يوماً بتمامه تتقاذفها الامواج وهي تتهادى عَلَى سطحها بلا حس كأنها شبح من ضباب · ولم يُتح لاحد من البشر ان يشهد هنالك تقلبات ملامح وجهها المعذب ، أو ان يراها ، وهي حية أقرب شيء الى الاموات ، او ان ينظرها تعارك الامواج وتغطس ثم تعلو فوق المياه ·

ولما حان المسآء ولاحت في البعد منائر الليل اخرجها الصيادون بالصدقة وزبد الامواج يكسوها · وكانت عيناها جامدتين ونورهما قد انطفأ ولكن قلبها كان يخفق خفقاناً شديداً في جسمها ·

وظلت الامواج تضج وتتكسر عَلَى الشاطىء الحجري طولَ الليل · وكان دويها مزعجاً رهيباً

٧

نظرت عيناي فارتعشتا · كنت أحدق في الفضآء ذات ليلة من ايام الربيع حين كان القمر في انتصافه — في ساعة يولد بها الهلال فتجمع بين الازلية والابدية ويمتلىء لها القلب اضطراباً وجذلاً ، وهي تخطر عَلَى تخوم العوالم واذا بعيناي قد صادفتا نظرة صادرة من عينين شفافتين تخبطان عَلَى غير هدى في شوارع احدى المدن الكبيرة

آه وا لهفي عَلَى تينك العينين ! يا له من طرف تنعكس فيه اشعة احلام خامدة في ظل اجفان جامدة ! يا له من طرف لا يتألق فيه سحر ربيع قد مضى ولا بريق انهار مسرعة ، ولكنه مترع بظلمات اعماق البحار — اذ قد عمي

الى الابد ·

كانت الحورية صاحبة ذلك الطرف واقفة عبرة للالباب ومثلاً من امثال الحرمان الفائق تطرق باب بيت دامس قد أغلق دونها · ورأيت من شباكي العالي ان حورية البحار قد اصبحت شحاذة تدور في الاسواق

فطفقت انشد عَلَى مسامعها اغنية نظمتها عن البحر — عن حورية عذبتها الاحلام واوحت اليها ان في الكون عالماً غير عالم المياه ودست الاماني في عقلها ان العالم قد أعطي حقيقتان — واحدة للنفوس والاخرى للأجسام الظامئة الراغبة ·

ثم صمت وأصغيت متأملاً لارى ماذا تجيب عذراء العمق · فسمعتها تقول بضع كلمات اتيت انقلها اليكم

قالت — ألم أظفر برؤية الشمس ؟ وكفى برؤيتها وطراً تستسهل دونه الصعاب ·



طرائف عربية

خصام النفس والجسد يوم الحشر

(كما ورد في الحديث)

« لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تختصم الروح والجسد »

فيقول الجسد للروح

-- أنت التي حركتني وأمرتني وصرفتني والا فانا لم كن اتحرك ولا أفعل شيئاً بدونك .

فتقول الروح له

— وأنت الذي أكلت وشربت وتمتعت ، فانت الذي تستحق العقوبة

فيرسل الله سبحانه وتعالى ملكاً يحكم بينهما فيقول

— مثلكما مثل مقعد بصير وأعمى يمشي . دخلا بستاناً فقال المقعد للاعمى — « أنا ارى فيه من الثمار ولكن لا استطيع القيام .» وقال الاعمى — « انا استطيع القيام ولكن لا ابصر شيئاً » . فقال المقعد « تعال فاحملني فانت تمشي وأنا أتناول » . فعلى من تكون العقوبة ؟

فيقولان — عليهما

فيقول لهما الملك — فكذلك أنتما »

*****

— بين الحبيب الاول والحبيب المقبل —

قال ابوتمام الطائي يفضل أول حب —

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى   ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى   وحنينه أبداً لاول منزل

فقال ديك الجن الحمصي يرد عليه —

كذب الذين تحدثوا ان الهوى   لا شك فيه للحبيب الاول
مالي أحن الى خراب مقفر   درست معالمه كأن لم يؤهل

فقال ابوتمام حين بلغه قول ديك الجن المذكور

كذب الذين تخرصوا في قولهم   ما الحب الا للحبيب المقبل
أفطيب في الطعم ما قد ذقته   من مأكل او طعم ما لم يؤكل

فقال ديك الجن ايضاً حين بلغه هذا .

ارغب عن الحب القديم الاول   وعليك بالمستأنف المستقبل
نقّل فؤادك حيث شئت فلن ترى   كهوى جديد أو كوصل مقبل

. . . . .

— ما السرور ؟ —

قيل لامرىء القيس — ما السرور ؟

فقال — بيضاء رعبوبة ، بالطيب مشوبة ، بالشحم مكروبة .

وقيل للاعشى — ما السرور ؟

فقال — صهباء صافية تمزجها غانية من صوب عادية

وقيل لطرفة — ما السرور ؟

فقال — مطعم شهي ، ومشرب ذوي ، وملبس دفي ، ومركب وطي

وقيل لاعرابي — ما السرور ؟

فقال — الكفاية في الاوطان والجلوس مع الاخوان ·

وقال الحجاج للاديب الناعم — ما السرور ؟

فقال — الامن ، فاني رأيت الخائف لا عيش له ·

قال الحجاج — زدني ·

فقال — الغنى ، فاني رأيت الفقير لا عيش له ·

قال — زدني

فقال — الصحة ، فاني رأيت المريض لا عيش له ·

قال — زدني

فقال — لا أجد مزيداً ·

· · · · ·

قال رجل لزوجته — ألا تلبسين · الحلي · فقالت لا · لانها تستر المحاسن كما تستر القبائح

· · · · ·

قال السماك الواعظ لجاريته — كيف ترين ما أعظ الناس به ؟

قالت — هو حسن · الا انك تكرره ·

قالَ — انما اكرره ليفهمه من لم يكن فهمه ·

فقالت — الى ان يفهمه البطيء يثقل سمعه عَلَى الذكي ·

· · · · ·

مرض علي بن عبيدة · فعاده الجاحظ فقال له

— ما تشتهي من المآكل يا ابا الحسن ؟ فقال

— ثلاثة اشيآء — عيون الرقبآء وألسن الوشاة واكباد الحساد ·

· · · · · ·

قيل لبعض الولاة

— كم لك من صديق · فقال

— لا ادري · ما دامت الدنيا مقبلة عليَّ فالناس كلهم اصدقاء لي ·

وانما اعرفهم اذا ادبرت عني ·

· · · · ·

قال بعض دهاة العرب — أخذت من كل شيء أحسن ما فيه

فقيل له — فما اخذت من الكلب ؟

قال — حبه وذَبه عن صاحبه ·

قيل — فما أخذت من الغراب ؟

قال — شدة حذره ·

قيل — فما اخذت من الخنزير ؟

قال — بكوره في حوائجه ·

قيل — فما أخذت من الهرة ؟

قالَ — تملقها عند المسألة ·

فكاهات

في احد الاعياد تبارى سكان احدى القرى في الاكل وعينوا لمن يأكل أكثر من الجميع جائزة · ففاق الكل العم ابوحيدر اذ توفق الى ازدراد دجاجة محشية بكاملها وفخذ خاروف محمر وقصعة من الكبة النيئة ودزينة من البيض المسلوق عدا الخبز والخضر والحلويات وما سبقها وتخللها من كوءوس العرق المشعشعة · فحكم له الناس بالفوز وطافوا به في القرية هازجين · ولما قاربوا الوصول الى بيته التفت اليهم وقال

— « دخلكم لا حدا يقول لام حيدر شو اكلت · أحسن ما تبيتني ...... الليلة بلا عشا »

كان جورج شاباً نشيطاً في عمله اميناً لزوجته يحبها حباً مبرحاً · ولكنه كان قليل الاهتمام بالامور المالية · فدعته الضرورة ذات يوم الى مغادرة المدينة لاشغال تجارية · فترك زوجته ووعدها ان يرسل اليها ما يلزم لمصاريف البيت بأقرب وقت ·

ولكنه نسي فلم يبر بوعده · فتراكمت الديون على زوجته في غيابه واستحقت اجرة المنزل وألح صاحبه بالمطالبة · فابرقت اليه تقول

— لم تبق معي بارة · استحقت اجرة البيت · ارسل الدراهم بالتلغراف

فاجابها يقول — لا اقدر الان : سارسل مطلوبك بعد اسبوع · اقبلك الف قبلة ·

فاجابته زوجته وقد اغتاظت لاهماله

— لا تهتم بالدراهم · قد اعطيت صاحب البيت قبلة من القبلات التي ارسلتها لي · فكانت فوق الرضى ·

*****

تجادل اثنان من الادباء في سهرة حافلة وهما يتكلمان عن احدى القصائد الجديدة لاحد الشعراء « العصريين » فكان واحد منهما — وهو شاعر يستحسنها ، والثاني ينتقدها ويظهر مساوءها ومواطن الضعف فيها ·

واخيراً افحم المحامي عن القصيدة فقال لمناظره

— لا ادري كيف يحق لك ان تنتقد الشعر وانت لم تنظم بيتاً في حياتك · فاجابه ذلك ضاحكاً

— هذا صحيح · ولكني في حياتي كلها لم أبض بيضة واحدة · ومع ذلك تراني أعرف بطعم العجة اللذيذة من كل الدجاجات

*****

كان خليل شاباً نشيطاً اوصله جده واقدامه الى وظيفة مدير محل تجاري في نيويورك · غير انه كان كثير النسيان · وحدث ان احد زبائن المحل في الداخلية تأخر في الدفع وخيف عليه من الافلاس فانتدب صاحب المحل خليلاً ليسافر الى بلده ويفعل ما يستطيع فعله · وفي اليوم الثاني ورد على محله التجاري تلغراف منه يقول

— وصلت · لكني نسيت الاسم · اخبروني تلغرافياً · فابرق اليه صاحب المحل الجواب وهذا نصه

— اسم الزبون توما مبروك · اما اسمك فخليل ·



« تأثير خطاب ولسن »
اشعة الدموقراطية تنير أطراف المسكونة
« نقلاً عن جريدة الورلد النيويوركية »



« ارواح الحرية تحت لواء الدموقراطية »
اميركا وفرنسا وبريطانيا تسير الى النصر
كتفاً الى كتف «نقلاً عن جريدة ايفننغ تلغرام»



« تركيا في العراق »
أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامة
ربداء تجفل من صفير الصافر
« نقلاً عن جريدة كولمبس دسباتش »



العم سام يصقل الحسام
« نقلاً عن جريدة كليفلند بلاين ديلر »

زنبقة الغور

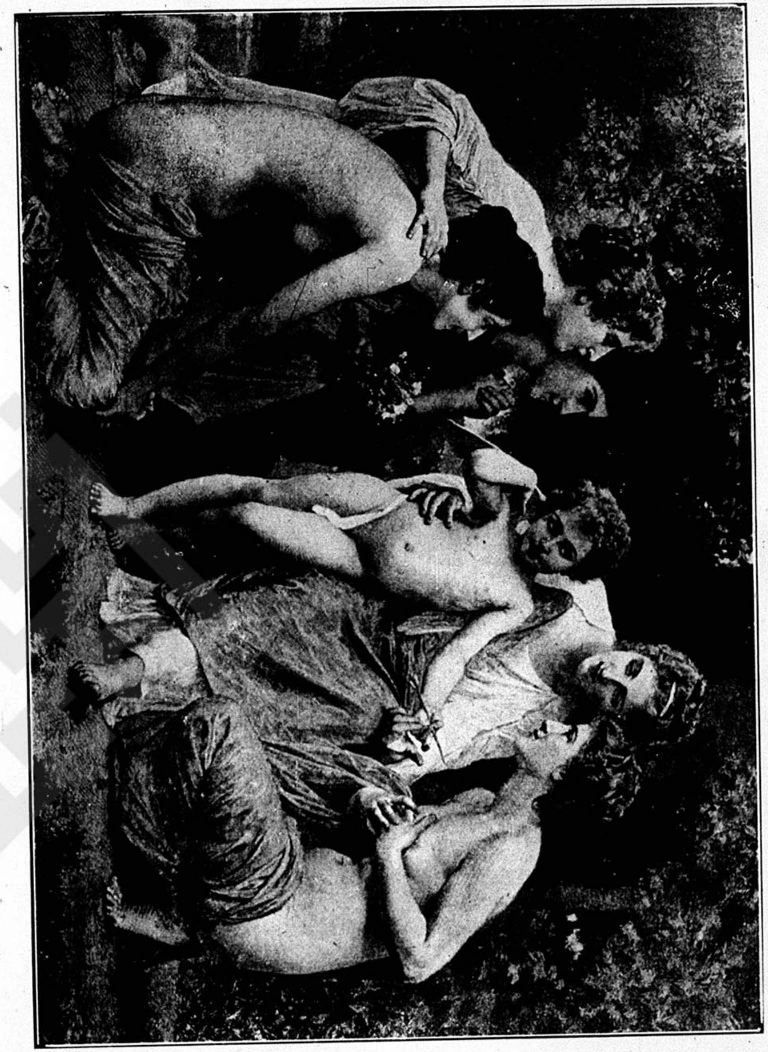
رواية اجتماعية متتابعة

بقلم

امين الريحاني

ملخص ما نشر سابقا

مريم ابنة الراعية ساره من الراهب ايلياس البلان هربت من دير الايتام في الناصره لما قاسته من الاضطهاد ولجأت الى القس جبرائيل مبارك فوضعها تحت رعايته وهو صديق قديم لامها وادخلها بيت اخيه جرجي مبارك للخدمة . وهنالك هام بها عارف مبارك ابن صاحب المنزل فطغاها ووعدها بالزيجة . وقدم المنزل ابن عمه ايوب مبارك ضيفا فاعجب بحسن مريم فقصد غرفتها ليلا ليطارحها الغرام ففاجأه عارف وقتله غيرة وهرب . فأتهمت مريم بالجريمة واعترفت وهي في السجن بما جرى للقس جبرائيل فانقذها بنفوذه وسار بها تاركا ديره الى طبرية ليستر عارها . وهنالك اقام وايلها في بيت منفرد عند الحمامات المعدنية على مقربه من المدينة ريثما تلد وأقام لها خادمة اسمها هيلانة كانت غاوية فهداها واحسن اليها ولكنها لم تصدقه التوبة . فلما ولدت مريم سرقت هيلانة طفلها ليلا بايعاز امها الشقية واخفته عندها . واشاعت ان القس جبرائيل رمى الطفل في البحيرة . وبلغ الخبر مريم فنقمت عليه ولكنه اوضح لها ما يعرفه من حقيقة الامر . الا انها كرهت المعيشه معه فغافلته وهربت الى فرنسا مع سائحة افرنسية استأجرتها لتعلم ابنها العربية . ورآها في الباخرة نجيب مراد فمال اليها وزارها بعدئذ في منزل سيدتها بباريز . . . ورافقها مراراً يطوف بها باريس ويريها ملاهيها ويذيقها من ثمار حريتها الحلو والمر والظاهر والمكنون ووعدها بالسعي في سبيلها خيراً لتحسين مركزها . ثم علق بها ابن سيدتها الشاب فتبرمت منه وخشيت سيدتها سوء العاقبة فابتاعت لها جواز سفر الى وطنها . ولكن



اعتراف آمور (اله الحب) — للمصور بورغو

مريم احبت البقاء في باريس فعادت من محطة القطار تفتش عن صديقها نجيب مراد في النزل فوجدت انه قد سافر ولم يترك لها خبراً ٠ فراحت تسعى لتجد لها وظيفة في احد المسارح

تابع ما قبله

جاء المدير يقول — الى العمل يا بنات ٠ وطفق يجول في المسرح ويلوح بيديه ٠ آمراً ناهياً ، ناصحاً معلماً ، ناقماً صاخباً

— انت يا جولي خطوتك صغيرة ٠ وانت برشاقة ٠ برشاقة ٠ الى الامام ٠ يديكن كالاجنحة ترفرف ٠ رأسكن الى الشمال ٠ نظركن الى اليمين ٠ امشي مشياً يا « فلسطين » ولا ترقصي سابرستي ! امشي مشياً ٠ مثل رفيقاتك ٠ لاحظي من الى يمينك ووافقي بحركات يدك حركات يدها ٠ رأسك الى الشمال ٠ نظرك الى اليمين ٠ لا تحركي صدرك ٠ براڤو « فلسطين » براڤو ٠ خطوة ٠ خطوتان ٠ ثلاثة ٠ الى اليمين جولي ٠ الى الشمال لويز ٠ قفي ٠ قفن كلكن ٠ سابرستي ! ليكن الصف مستقيماً ٠ حسن ٠ حسن ٠ راجعن ذلك ٠

فعادت البنات ست منهن الى جهة الشمال خارج المسرح وست الى جهة اليمين ٠ ثم دخلن صفين على خط مستقيم فالتقت جولي بلويز ثم تقدمن صفين ثم افترقن ٠ والمدير يعيد الامثولة — خطوة خفيفة رشيقة ٠ لا قصيرة ولا طويلة ٠ حركي يديك يا « فلسطين » ٠ ثبتي صدرك ٠ رأسك الى الشمال ٠ نظرك الى اليمين ٠ صفاً صفاً ٠ الى الامام قليلاً ٠ انت ٠ انت ٠ الى الوراء ٠

وهذاهو الدور كله ٠ تقف هؤلاء البنات في وسط المسرح وراء المغنية الشهيرة بينا تغني دورها وهن يطيبن برؤوسهن وبايديهن ٠ ثم يجتمعن حولها ويدرن راقصات بل لاعبات كالبنات في الحقول في فصل الربيع ٠ ثم يدخل اثنا عشر شاباً فيرقصون حولهن وكل شاب يذارع فتاة ويرجع بها الى مؤخر المسرح بينا المغني والمغنية يغنيان معاً دورهما المشهور

ساعة من هذا التمرين ٠ فعادت مريم الى بيتها تقول — ثلاث خطوات على المسرح ٠ وثلاث دورات حول المغنية ٠ وساعة وقوف كالتمثال — أهذا ما سعيت من اجله ؟ ورمت بنفسها على السرير اسيرة الهم بن طريدة الفشل ٠ ولكنها لم تيأس ٠ فعولت ان تجرب بادئة علها تتدرج سريعاً ٠

وفي اليوم الرابع اوعز المدير اليهن ان يلبسن ثياب الرقص للتمرين الاخير ٠ فدخلت البنات كل خمس منهن الى غرفة صغيرة جدرانها مبطنة بصور الراقصات والممثلين مقصوصة من الجرائد والمجلات ٠ وفيها بضع مرايا مكسرة ٠ امام كل واحدة منها رفوف عليه اصناف شتى من المساحيق والمعاجين والادهان

— لماذا لا تخلعين ثيابك يا « فلسطين » ؟

— « فلسطين » حبيبتي ٠ أتقربك « صالومي » — ألا تعرفينها تلك التي قطعت رأس يوحنا المعمدان ٠ ورأسك ! انت اجمل منها ٠

— وما ابدع شعرها ٠ وما اطوله ٠ وما اجمل لونه ترالألا ! وحاولت الراقصة ان تحله فنفرت مريم منها ٠

— اخلعي ثيابك لنتفرج عَلَى معاطفك وارتدي هذه السرابيل الحريرية. ولا تستحي .

— لله من عينيك . يا « فلسطين » . فيهنَّ سحر المجدلية . دعيني اقبلهما

فتفلتت مريم منها حردة ناقمة . فتقدمت اليها راقصة اخرى تقول — اكشفي عن ساقك يا « فلسطين » لنتفرج عليه . وجنبك . ترالاَّ لاَّ !

— اليك عنها — لا تمسيها . هي مطهرة . هي من الهيكل هيكل عشتروت

— الله ! ورائحة شعرها كروائح الند والمسك والبخور

— حلي شعرك . حليه .

— مريم المجدلية . ترالاَّ لاَّ ! تعالي معي الليلة اجمعك بشاعر شعره مسترسل . ولحيته شقراء . وعيناه زرقاوان . شاعر يشبه المسيح . تعالي معي ايتها المجدلية اجمعك بسيدك .

وكانت مريم اثناء ذلك تخلع ثيابها والحنق من ذا التعذيب والتنكيد يملك نفسها . فتورمت اوداجها واحتدم الغيظ في ناظريها .

— لله ما ادق مفصلها الكعبي . اين خلخالك يا « فلسطين »

— ولكن ساقها لا يناسبه . ساقها غليظ

ومرَّت الفتاة يدها عليه فرفستها مريم وهي تلعن بالعربية اباها . فوقعت مستلقية عَلَى ظهرها فضجت الغرفة بالضحك والصياح . فقالت احداهنَّ

— يحق « لصالومي » ان تقطع رأسك

وقالت الاخرى — يحق « لفلسطين » ان تصلبك.

وقالت الثالثة — يحق للمجدلية ان تشرب دمك .

— ساصلب عظامها ! ساقور عينيها ! نجاسة فلسطين ! ساكرنن دي پالاستين ! ! سادق عنقها . سافقأ عينيها ! وهجمت تلك الفتاة تستل دبوس قبعتها . فوقفت جولي تصدها وتحمي مريم .

— دعيني اقور عينيها . فقد أبت اللعينة ان اقبلهما .

— ردي دبوسك الى قبعتك . ليس الوقت وقت براز .

— يا للعار ! يا للعار ! ان هي الا غريبة وانكنَّ غليظات قاسيات . لا تحردي يا مريم ولا تغضبي . دعيها تقبل عينيك فهي تحبك . وتعجب بجمالك . تعالي . قبليها . سا سا ! لتحيَ « فلسطين» ! فهتفت البنات بصوت واحد . لتحيَ « فلسطين » !

ثم خاطبتها جولي مناعمة ملاطفة فقالت — دعيني اساعدك اين سرابيلك الحريرية ؟ (مرسي)

وأرتها سرابيل محكمة يلبسها اللاعبون عَلَى الحبال ، والراقصات

— أليس لديكِ واحد مثل هذا . اعيرك اليوم مما عندي . وبعد التمرين اذهب واياك الى حانوت تشترين سرابيل . لانها للراقصة يا صديقتي ألزم من المجلة للفقيه ، والعربة للطبيب ، والخادمة للكاهن . السرابيل ألزم للراقصة من خبزها . بل هي خبزها . هي سرها . وهي سلاحها . واذا ارتدت قميصها بدونها تهلك في السجن جوعاً . السرابيل شغاف الفن ، شغاف الحب ، شغاف العفاف . فاذا اختال الفن عارياً دونها تحترق ال« تياتر » وتحترق باريس.

وينتهي العالم .

— احسنتِ يا جولي احسنتِ . لستِ واللهِ في مركزك هنا ينبغي ان تكوني في مجلس النواب .

— أحسنتِ . عهدناها لبيبة . فاذا هي خطيبة .

— بل عهدناها زمّاره . فاذا هي ثرثارة .

— ألبسي يا مريم ومالنا وهذرهنّ .

فلبست مريم ذاك اللباس المحكم . وانتعلت نعلاً رومانياً . وارتدت قميصاً من الحرير مهلهلاً . ثم وضعت جولي عَلَى رأسها اكليلاً من الزهر المصطنع فنزعته مريم وضربت به عرض الحائط

— ما بالك ? أتأبين الاكليل ?

— اكليل الهذر والهذيان . اكليل الكذب اكليل السخافة ! أحرقت الازاهر الاصطناعية في بلادي أفتلحقني الى باريس ?

— ولكن لا بد منه يا عزيزتي . اذا لبسنا الثياب اليونانية ولم نلبس الاكليل تديننا الـ « اكاديمي » وتجازينا عَلَى فعلتنا الـ « كوميدي » ويشنقنا مدير الـ « اپرا » . واذا نجونا من الشنق . يضحك منا البوليس . وهذا شر العقوبة . ألبسي الاكليل . ألبسيه فها الجرس يقرع . والمدير ينتظر .

بدت مريم في سرابيلها اليونانية كأنها ابنة آثينا او عروس من روايات الشاعر بيرون . فسرّ المدير بها وباتقانها دورها . ولكن الفتاة الناصرية لم تسر لا بالمدير ولا بالدور ولا بالراقصات رفيقاتها — لم ترضَ ان تكون

هذه بداءة امرها في الرقص . لم ترضَ ان تكون من التماثيل المعروضة عَلَى الناس صفاً . لم ترضَ ان تكون سفراً الى الشمال او كمالة عدد الاقبال . ولم ترضَ فوق ذلك ان تأخذ رفيقاتها من قلبها ونفسها هدفاً لسحرهنّ وهذرهنّ . عَلَى انها حباً بالفن قبلت العذاب وقدمت نفسها ضحية عَلَى مذبحه شهراً كاملاً . فاضطرّ المدير بعدئذٍ ان يغير الرواية لانها لم تصادف اقبالاً فصرف بعض البنات وكانت مريم منهنّ . انقدها اجرتها بعد ان حسم منها عشرة بالمائة للوكالة اي لتلك السيدة صاحبة الوجه الشاحب القطوب التي عادت مريم اليها تسألها السعي مرة اخرى في سبيلها . فدوّن الكاتب اسمها في سجله ثانية ثم انقدته الرسم وراحت تنتظر .

ولى الاسبوع يتلوه الاسبوع ثم الشهر ثم أخوه ومريم تنتظر صابرة واجلة وهي تنظر الى كيسها من حين الى حين كما ينظر المحكوم عليه بالاعدام الى الساعة في يومه الاخير . دنى الاجل . نفد المال . فجاءت مريم تلح عَلَى السيدة فقالت هذه في نفسها متبرمة متأففة — ألا تكفينا بنات فرنسا بل بنات اوربا . يظنن ان مسارح باريس جنة عدن فيتهافتن عليها كالذباب عَلَى الحلوى . ثم قالت تخاطب مريم — يا بنتي . ان الطالبات عملاً في الـ « تياترات » الوف مثلك والمبتدئة تضحك في عبها اذا فازت بشبر عَلَى المسرح تقف فيه عارضة وجهها وساقيها لان ذلك خير لها من ان تعرض نفسها وجسمها في الشوارع .

وتيقني مدموازل انني باذلة جهدي في سبيلك . ولكني لا اعدك خيراً

في المستقبل القريب · معظم الـ « تياترات » اليوم مقفولة والاشغال واقفة·
وسابذل مع ذلك جهدي · لمَ لا تطلبي عملاً في احد بيوت « الموده » عند
احدى الخياطات · قدك دقيق جميل واية خياطة من الخياطات الشهيرات
تستخدمك تمثالاً (مُدل) عندها ·

فلما سمعت مريم ذا الكلام وبالاخص الاشارة الى التمثال نهضت عَلَى الفور فودعت تلك السيدة التي تتكلم دون ان تحرك شفتيها وعادت الى غرفتها وقد ساورها من الهم ما لا يحيا الى جانبه امل ولا تثبت امامه عزيمة· اقفلت الباب باب تلك الغرفة الحقيرة فاذا هي فيها وحيدة مخذولة يائسة· نظرت من الشباك الى مداخن باريس امامها فاحست انها واحدة منها -- مدخنة بين الوف المداخن · ليس في صدرها غير نار تتأجج فيتصاعد منها دخان الفشل والغم · ثم جلست عَلَى سريرها تسند رأسها بيدها وجعلت تفكر في مصيرها · ثم نهضت عَلَى الفور فاخذت سلسلة الذهب التي اهداها اياها نجيب مراد فنزعت منها الايقونة الحندقوقية المرصعة بألماس ووضعت مكانها الذخيرة التي اهداها اياها القس جبرائيل وطفقت تقبلها وتبكي

-- آه ما اكرمك خلقاً يا قس جبرائيل· وما اعزك نفساً ·وما اشرفك قلباً

وفي اليوم الثاني ذهبت بالايقونة الى احد الصاغة فباعتها بثلاثين ذهباً · ثم صوَّبت خطواتها الى شركة البواخر الافرنسية وهي تقول — كسرتني اليوم يا باريس فلا بدَّ من ان اكسرك غداً ·

--(الفصل الثالث عشر)--

كان ابرهيم يخدش الارض بمعوله حيث لا يصل الى تربتها المحراث وهو يخدش آذان الفجر والاطيار بادوار من المواليا

وكان الراهب الفلاح قد باشر الفلاحة ، وثوبه الاسود ، وقد شمره من الامام يبدو كذنب الغراب من الوراء وتبدو تحته سراويل زرقآء وجوارب بيضآء يقيها من الارض حذاء ثقيل النعل مرأس الاطراف ، وقلنسوته مسترخية بين كتفيه وليس عَلَى رأسه غير عرقية سوداء صغيرة ·

-- جز الحشيش يا ابرهيم · جز الحشيش · وأرح صوتك · صباح مبارك يا ابني · اعطِ المواليا فرصة ساعة · نفرت الاطيار · نكدت البقر · تعالَ الى هنا · اترك الزوايا تنقبها بعدئذٍ · تعال جز الحشيش ·

-- بكرت اليوم يا معلمي

-- لتنفر الاطيار وتكدر صفا الاسحار · اوقف لسانك · وحرك يديك· ها قد تعالت الشمس ذراعين فوق الجبل ولم نحرث بعد ثلمين

-- لا خوف علينا يا معلمي · الجو صافٍ والنهار طويل ·ولم يبقَ قدامنا للحراثة غير القليل ·

وجآء ابرهيم يمشي الهوينآء مشية البقر ويهول بمنجله ويصيح — ياظريف الطول يا سن الضحوك !

-- اذا كنت لا تشفق عَلَى صوتك يا ابرهيم فاشفق عَلَى البقر · فان للبقر

آذاناً . تعال جز الحشيش واسكت . بحياة ابيك برحمة اجدادك أن تسكت . اسكت واشتغل .

وكبس الراهب عَلَى السكة برجله والمساس في يده كالرمح في يد فارس من فوارس الجاهلية وخطوته وقد هرولت البقر مذعورة تكاد تكون طول المساس .

— آهو ! آهو ! ! الله معك « كحلا » الله معك . يمينك « كحلا » يمينك . آهو ! عنها « أبلق » عنها . — هذا الفدان لا ينفع يا ابرهيم . فقد خُدع ابوك هذه المرة . « الابلق » لا يستأهل علفه .

— « الابلق » يا معلمي زينة البقر . احسن فدان في البلاد . صيته ملأ المرج وبيسان . ولما اشتريناه واستلمت انا رسنه جعلت ابنة صاحبه تبكي وتقول — خلوا لي « الابلق » او خذوني معه . والله يا معلمي جرحت قلبي وسلبت عقلي .

— لا تقدر ان تسلبك ما لا تملك يا ابرهيم

— والله يا معلمي وجهها مثل القمر وشعرها مثل الليل وجبينها مثل نجمة الصبح —

وشرق ابرهيم بريقه وهزّ رأسه وشخص الى السماء بعينيه . ثم قال وهو يقطع بمنجله قضيباً من البردى — حظي مثل شعرها يا معلمي . لو رضي ابي لسلمته رسن « الابلق » وسلمتها رسني

— كنا بالابلق صرنا بنجمة الصبح . لا حول ولا ! لسانك يا ابرهيم

يلزمه رسن . جز الحشيش يا ابني . ينبغي ان نطعم البقر — آهو ! عنها ! عنها « ابلق » . لعين هذا « الابلق » لا اظنني استطيع ان افلح يومين عليه . هات الكمامة يا ابرهيم . كمه . كمه . أتخافه ؟ يا لضيعة الطول . يا لضيعة العرض . خذه بقرنه ولا تخف . امسكه بقرنه . يا لك من جبان . اليك عنه . رُح غني للقمر وسلم رسنك لنجمة الصبح . طر شاربك ولا تحسن ان تكم الفدان .

واخذ الراهب الكمامة منه ومر كفه عَلَى رقبة الفدان يملسها ويطايبه ثم كمه كما لو كان نعجة حولية . ومسح الزبد الذي تساقط عَلَى يده من شدقيه وعمد الى المحراث والمساس يستأنف الحراثة

وبعد برهة عاد ابرهيم وبيده المنجل وباقة من الحشيش يقول

— نسيت اخبرك يا معلمي اننا في رجوعنا من بيسان حيث اشترينا « الابلق » مررنا بالحمامات فلمحت هنالك الفتاة التي بعثتها مرة الى بيتنا برسالة الى ابي كانت جالسة في القهوة تشارب رجلاً وتمازحه . فلما رأتني همست في اذنه كلمة ثم سألتني عنك .

فاوقف الراهب المحراث لساعته .

— وماذا قلت لها ؟

— قلت لها ان معلمي في البيت بالغوير

فاكفهر وجه الراهب

— خزاك الله ! ومن كلفك بذلك ؟ ألم اقل لك ولابيك ولامك انني

اروم العزلة هنا ألم افرض السكوت عليكم اذا سُئلتم عني ؟

— وهل اكذب عليها ؟ والرجل الذي كان يشاربها لحقني الى الخارج وهمس في اذني قائلاً — قل لمعلمك اذا جآء الى قهوة الحمام اية ليلة كانت هذا الاسبوع يشاهد صديقاً فيها ويسمع ما يسره

— وغير ذلك يا ابرهيم

— لا شيء يا معلمي ·

— رُح الى شغلك · رُح الى شغلك · وألجم لسانك ·

واستأنف الراهب الحراثة وقد علا وجهه غيمة اضطراب يتخللها بريق الهواجس المحرقة ·

وساعة الظهر جآء ابوابرهيم يحمل الى سيده الغذاء · فحلّ عن الابلق والكحلاء النير وربطهما امام عرمة من الحشيش الاخضر

ثم فرش عباءة في ظل شجرة عند ضفة الغدير جعلها خواناً وصفّ عليها الخبز والجبن والزيتون والبصل وبضع سمكات مشوية · فجلس الراهب بعد ان صلى صلاة الظهر وجلس حوله ابوابرهيم وابنه يتناولون الغذاء · وكان سكوت ابرهيم اثنآء الاكل مدهشاً ومستحباً · فجعل يقلب نظره في ما علَى العباءة فيتناول اللقمة تلو اللقمة والرغيف تلو الرغيف وهو يقرض ويزدرد ويرتشف ولا يميل ببصره يميناً او شمالاً ·

— بارك الله فيك يا ابرهيم · بارك الله فيك ؟ أوَلم تعطش يا ابني —

فهزّ ابرهيم رأسه واللقمة تملأ فمه · فقال ابوه — قم املأ الابريق · لو

كان يحسن الشغل كما يحسن الاكل —

— والثرثرة يا ابا ابرهيم · اصلحه الله

عاد ابرهيم بالابريق وقد ملأه من الغدير · فاوعز اليه ابوه ان يباشر نقب الزوايا · وقال — ووالله اذا لقيتك نائماً اذبحك بهذا المنجل ثم قام الاب فساق « الكحلاء » و « الابلق » الى الغدير ثم عاد بهما فكدنهما واستأنف الحراثة · فقال الراهب — سترى بعد الامتحان يا ابا ابرهيم انك خُدعت بالابلق · واستلقى في ظل الشجرة ينام القيلولة · ولما استفاق عمد الى معول يساعد ابرهيم في نقب الزوايا · ثم جآء الى ضفة الغدير يصلي صلاة العصر وفتح كتابه الذي يحمله ابداً في جيبه كتاب الاقتداء بالمسيح يطالع فيه · وما هي الا برهة حتى جاءت ام ابرهيم تقول — امرأة يا معلمي تطلبك في البيت ·

— ومن هي ؟ وماذا قلتِ لها ؟

— قلت لها انك متغيب · فكذبتني بدون حيآء قائلة — معلمي القس جبرائيل هنا · احلف بالله انه هنا · واحب ان اقابله

فقلت لها انه في رياضة لا يقابل احداً من الناس · فقالت مصرة — وقولي له لطيفة العشية التي كانت تطبخ في بيت اخيه بالناصرة تحب مقابلته

— فقال القس جبرائيل يخاطب نفسه — لطيفه · لطيفه · وما غرضها ؟ ومن اخبرها يا ترى انني مقيم هنا ؟ لا بأس يا ام ابرهيم · قولي لها — او بالحري دليها الى هذا المكان ·

وما هي الا برهة حتى عادت ام ابرهيم تستصحب لطيفة · ولما رأت هذه القس جبرائيل هرولت اليه تقبل اذياله ويديه وتبكي

-- حسبك يا لطيفه · اجلسي عَلَى هذه الصخرة · وامسحي دموعك · ما خبرك يا بنتي ·

-- قصتي طويلة يا معلمي ومحزنة ·

-- اوجزي ولا تبكي ·

-- بعد خروج مريم من السجن طردتني معلمتي الست هند لانني لم اشهد في المحكمة كما ارادت · لم اقل ان مريم قاتلة المرحوم ايوب · فضربتني وطردتني ولم تدفع من اجرني الا قسماً يسيراً · فاصبحت طريدة شريدة وظللت في الناصرة شهرين افتش عن عمل · فلم افز بشيء · ثم سافرت الى حيفا فتجشمت هنالك بضعة اشهر اخدم في احد الخانات ثم عدت الى الناصرة خائبة الامل فسمعت فيها من اناس انك مقيم في بيتك بالغوير · فجئتك مستجيرة مسترحمة علك تدخلني في احد البيوت بطبريا خادمة او طابخة · هذه قصتي بالايجاز ·

-- طيبي نفساً · وقري عيناً · واي متى تركتِ الناصرة ?

-- ظهر البارح ·

-- وكيف حال اخي يوسف ?

-- لم اره يا معلمي ولكنني سمعت ان عارفاً اليوم في حيفا يتعاطى التجارة

-- هل سمعتِ الخبر هذا وانتِ في حيفا ?

-- نعم ·

-- وهلاَّ رأيتِ عارفاً ?

-- لا يا معلمي · واين مريم اليوم ?

-- لا تسألي عما لا يعنيك ·

فاشارت لطيفة بنظرها وقد حرَّكت به بين القسيس وام ابرهيم انها تروم مساررته · ففهم القس جبرائيل وقال مخاطباً اجيرته -- شمي الهواء بضع دقائق يا ام ابرهيم · ما الخبر يا لطيفة ? عساه ان يكون خيراً ·

-- عرفتُ يا معلمي بما حلّ بمريم بعد خروجها من السجن -- بولادتها ، بسرقة طفلها ، بسفرها مع السيدة الافرنسية الى فرنسا · وليس ذلك بعجيب لان خبرها انتشر في الناصرة وفي حيفا · ولكن الغريب العجيب ما اطلعت عليه ليلة البارح · فاذا كنت مصيبة في ظني فمجيئي اليك ألهام من الله

-- وماذا رأيتِ ?

وقفت مساء البارح وانا قادمة من الناصرة امام بيت خارج طبريا وقد انهكني المشي · فقلت في نفسي -- أن اسأل المبيت هنا خير لي من الدخول ليلاً الى البلد وانا غريبة · فوقفت في الباب واذا بامرأة ترضع طفلاً وتضربه وتقول -- ارضع ترضع السم ، ارضع ترضع الطاعون · فخفت ورجعت ادراجي · قائلة في نفسي -- انامرأة هي اشبه بالجن منها بالبشر لا تأويني · ثم فطنت لشيء من المال معي فعدت اسألها حاجتي واعرض عليها الغرشين وكل ما كنت املك · فابرقت عيناها لذكر المال واختطفت الغرشين من

يدي قائلة وهي تشير الى الزاوية — نامي هناك · فرميت بنفسي الى الارض وقد كدني التعب ونمت من ساعتي · ثم استيقظت في الليل فسمعت الامرأة تكلم فتاة عندها وتسبها · فتناومت استرق حديثهما · فسمعت الامرأة تقول — تكاد تتم السنة ولم يسأل احد عنه الله يلعن اباه وامه · لو كانت امه امرأة لفتشت عنه ولكنها جنية غولة · لعنها الله · فقالت الفتاة — بعثنا الى الرجل خبراً وهو الان مقيم في بيته بالغوير · وقد اتخذ احمد الامر على عاتقه · ليطمئن بالك · فصاحت الامرأة — ليطمئن بالي ؟ كلفنا ابن الخنا حتى الان خمسة ذهبات · واهلكني · لم اعد استطيع ان ارضعه · نفد حليبي وصار واجباً ان نشتري له حليباً · اكاد اموت والله · اذا كان لا يجد شيء في امره قريباً ارميه في البحيرة واستريح منه · الله يلعن الاولاد · الله يلعن البشر !

فقالت الفتاة — صبرنا عشرة اشهر لنصبر عشرة ايام · وقد قال احمد انه لا يسلم الطفل قبل ان يقبض الخمسين ذهباً ·

فقالت الامرأة — وانتِ صاحبة احمد تآكلينه وتشاربينه · فسيشتبه الرجل بكِ ويشكوكِ ويشكوني الى الحكومة فتهلكين وتهلكيني معك · عليك اذاً ان تختفي حالاً · سافري الى صفد غداً · وابقي هناك اسبوعين · وانا اقابل احمد فنطبخ الطبخة ونترك الطفل حيث لا يُعرف مقرّه احد غيرنا · انهضي واسرعي سافري الان · وغداً اقابل احمد ·

هذا بعض ما سمعته من الحديث الذي دار بين الامرأة والفتاة · فهالني امره وخطر لي ان ألفت نظر الحكومة اليه — لينجو ذاك الطفل السيء الطالع ·

حنّ قلبي اليه والله · واخشى ان ترميه في البحيرة اذا كان ابواه لا يفتشان عنه · وقد فاتني ان اخبرك ان للامرأة طفلاً آخر يستطيع المشي ولكن الفرق بين الاثنين عظيم · الطفل الرضيع مثل القمر على وجهه ملامح الاكابر

— وهل تعرفين البيت الذي نمتِ فيه ؟

— نعم اعرفه ·

— وهل تعرفين الفتاة اذا رأيتها ثانية ؟ وهل عرفت اسمها ؟

— لم ارَ وجهها في الليل ولكني سمعت الامرأة تناديها هيلانة · ولما نهضت باكراً اشكر الله على سلامتي لم تكن هناك ·

— حسن · حسن · روحي وام ابرهيم الى البيت — يا ام ابرهيم · فجاءت الامرأة تلبي نداء سيدها · فخاطبها قائلاً — احسني وفادة لطيفة · عشيها وافرشي لها احسن فراش عندك ·

غابت الشمس والقس جبرائيل جالس عند ضفة الغدير يسمع خرير الماء وينكت الارض بعصاه · فطرق اذنه صوت ابرهيم يغني المواليا على رنات اجراس المواشي · فصعّد الراهب الزفرات يبارك الانعام وما شابهها في حياة البشر من شباب آبد وقلوب خالية ساذجة · نظر الى السهل وقد لاحت في اساريره خلال اثلامه البنية سيماء الجذل والرضى فخيل اليه ان كل ثلم فيه انما هو فم ينطق بالشكر والتسبيح · فقد كان نهاره مقدساً · قدسه الانسان العامل والقنوع اذ القى اليه حبة الحياة ليعيدها في الفصل الآتي سبعين حبة — ورفع اليه هنالك صورة جميلة من صور السعادة البشرية التي يعمورها

اله الحقول ورب البعث والخلود — صورة الفلاح وابنه عائدان في الغسق الى البيت — يسوقان المواشي ويغنيان المواليا · ابوابرهيم وقد حمل المحراث الطويل عَلَى كتفه يسنده بالمساس — وابنه الشاب وقد حمل النير والمعول فوق حمل من الحشيش الاخضر و « الابلق » و « الكحلاء » واجراسهما تطن عند باب الليل طنيناً شجياً يسيرون كلهم الهوينآء عائدين الى حيث الحب يلاقيهم بابريق الحياة والليل يقدم لهم كأساً مزيجها مسك وتسنيم · شاهد القس جبرائيل هذا المشهد فهزّ رأسه اسفاً قائلاً -- جميل · جميل · ولكنه ناقص · اين انتِ الان يا مريم ؟ مريم ابنة ساره اين انتِ ؟ أي بحر من أبحر الحياة تتقاذفك امواجه ؟ أي نعيم يكحل عينك ؟ أي جحيم يحرق فوءادك ؟

صعّد الزفرات وعاد ينكت الارض بعصاه اسير الهواجس ، سمير الاشجان والذكرى · ولّت اشباح الغسق مدبرة تفر من الليل · وما الليل الا موءنس الاشباح · جآء يشعل مصابيحه ويدور في الافلاك دورته السرية فيرافقه القمر وقد اطلّ من شرفته في الهرمل يبتسم ابتسامة غنجت لها البحيرة وابرقت اسارير الاحراج في الحقول وفي الجبال · فجعلت تصر الجنادب عَلَى العيدان صريرها · وينوح فوق البحيرة الحمام · وتصوت فيها الاسماك والامواج الجارية من الاردن تهز في القلب سريرها ·

مشى القس جبرائيل في السهل مكشوف الرأس والهواء العليل يناعم وجهه وينعش فوءاده والليل يوءنسه بانواره وسكونه فهزّ رأسه اسفاً قائلاً —

جميل هذا المشهد جميل · ولكنه ناقص · اين انتِ الان يا مريم ؟

لما فرّت مريم الربيع الماضي هاربة منه كما يهرب الغسق من الليل او الليل من الفجر ظل القس جبرائيل شهرين فريسة نزاع في نفسه شديد بين ما كان وما ينبغي ان يكون ، بل بين الحقيقة والخيال ، بل بين واجب قدسه الله ومحكمة قدسها العقل وخبر الزمان · فهمّ مرة ان يتبعها مستقصياً فعادت الحكمة تملك عليه نفسه ففوض امره الى الله · ونفض من امرها يده · ومن امر ولدها ايضاً · ولكنه لم ينقم عليها · ولم ينبذها من قلبه · ولم ينسها مرة في صلواته · اقام في بيته قرب كفرناحوم معتزلاً العالم والناس ناسكاً لا عَلَى شكل اجداده النساك بل ناسكاً عاملاً — ناسكاً فلاحاً ·

ومرّت الايام تتلو الايام ومريم وذكراها مقيمان في فوءاده يعطران صلواته وتأملاته · وما نام ليلة قبل ان يبتهل الى الله من اجلها — صنها ربي قها شر الجهل وشر الاهواء وشر الاطماع وشر المستهترين من النـاس ، وشر المآثم والموبقات · اكحل جفنها باحلام نعمتك · وابعث في ناظريها بهاء نورك · سدد خطواتها · وثبت في سبيل الخير والحق قدمها · يا فتاح يا رزاق ! افتح لها باباً لا يحزنون من يدخلونه · ارزقها خيراً لا ينعمون من يحرمونه ولا يطغون من يرزقونه · يا حليم يا رحيم ! اسبغ عليها من سوابغ حلمك · افض عليها من فيضان رحمتك · اهدها السراط المستقيم حيث كانت وحيث حلت · واذا كان عبدك الذي يضرع الان اليك سعيداً في يقينه ، ثابتاً في ايمانه ، قوياً في رأيه ، صافياً في وجدانه ، فاهدها ربي اليه ·

اهدها اليَّ . اهدها الى ابنها . آمين .

صلى هذه الصلاة تلك الليلة حسب عادته واضاف اليها الجملة الاخيرة ذاكراً ولدها . صلى هذه الصلاة في السهل وهو عائد الى البيت يفكر بمريم شيقاً اسفاً . ويفكر مستبشراً بما كشف له في اصيل ذاك النهار . ولما وصل الى البيت جعل يقلب في اوراقه فعثر علَى الكتاب الذي كان يطلبه . الكتاب الذي بعث به اليه اخوه يوسف يوم كان في بيروت . فاستلمه بعد ان سافرت مريم الى فرنسا . فاهمله يومئذٍ غضباً قانطاً . ولكنه اعاد تلك الليلة قراءته

اخي العزيز القس جبرائيل اطال الله بقاءه

اقبلك وابثك اشواقي وارجو ان تكون بخير . ثم اخبرك انني اجتمعت والحمد لله بابني عارف وهو الان في لبنان . وقد سلمته كتابك واطلعته علَى الاخر منك لي فآنست منه قبولاً بما تنصح . وانا والله يشهد علَى ما اقول عامل برأيك ساعٍ سعيك في سبيل تلك الفتاة . ومتى عدنا انا وعارف الى الناصرة نتمم ما فيه خير الجميع ان شاء الله . اخوك

يوسف مبارك

والان وقد علم ان الولد ولد مريم لم يزل حياً استحث سابق عزمه واستنهض راقد قصده وهو يعزي نفسه قائلاً — ما لا يبلغ كله لا يترك جله . وكأن الله ارسل لطيفة وقد اهداها الى ذاك البيت لتنبهه الى واجب اهمله اثما . فنهض صباح اليوم الثاني باكرا يقول لها — تعالي معي

وذهب ولطيفة الى السراي في طبريا ليقابل القائمقام .

—(الفصل الرابع عشر)—

الحاج محيي الدين صاحب الكازينو بالقاهرة رجل قصير بدين لعين (نريد بالنعت الاخير ما هو متعارف من معناه بين الناس عندما يفخمون عنده يجرون الياء منه معجبين فيقولون مثلاً فلان لعيـــن ! ليصفوه بالحذق والمكر والدهاء .) فالحاج محيي الدين اذاً قصير بدين لعيـــن ! وانه وان ارتدى الحرير لاصلب خُلقاً وخَلقاً من قماش الخيام الانكليزي . له رأس ككرة المدفع كبير مستدير . تعلوه عمامة خضراء صغيرة . تحتها اذا اقبل جبهة عرضها خدّاع . واذا ادبر سامد الرأس تبدو عكنات رقبته تحت تلك العمامة كأمواج النيل او كغدد الفيل . وهو غليظ الشفتين كذلك وعريض الوجه لحيم . اما انفه المشوه فيكاد لصغره يضيع في وجهه . وعينـاه الصغيرتان الزايغتان تنفران من انفه . وشاربه المقصوص كمو بين ذاك الانف وتلك الشفة كخيال قضيب بين كهف وكثيب .

وقف الحاج محيي الدين مودعاً السيدة فشيعها الى الباب تعطفاً وهو يعد سبحته ويسبح الله . ويستغفر الله . ويستعين بالله . ثم عاد الى مجلسه

في زاوية الديوان وحبات الكهرباء الكبيرة تطقطق بين انامله الصفراء كأنها تردد الصدى لنبضات قلبه · ثم جلس مسترخياً يبسط ذراعيه · ويزم شفتيه· وقد انزل العمامة الخضراء حتى حاجبيه · ولسان حاله يقول — انا لله وانا اليه راجعون ·

وكان شريكه عاطف بك جالساً الى منضدة يدخن سيكارة ويراقب حركاته معجباً باسماً · فقال محيي الدين يخاطبه — اخطأت يا اخي اخطأت · فاجابه عاطف بك — انت أعلم بالجواري وانا أعلم بالراقصات·

فعمد الحاج محيي الدين الى الاركيلة يسكن بها غيظه ثم قال — ولكن رقصها جميل · اجمل ما رأيت حياتي — رقص جديد ، مبتكر ، غريب ، مدهش · وهو فوق ذلك رقص ادبي تزينه الحشمة لا خلاعة في حركاته ولا بذاءة في وقفاته — ولا ··· فاغرق عاطف بك في الضحك وقال — اراك تتكلم كشيخ من مشايخ الازهر · الله · الله ! أحامل « النسخات » يحمل عَلَى الخلاعات ؟ أصاحب « الكازينو » يمسي صاحب كرامات ؟ الله · الله ! انت مازح يا محيي الدين · أو تظن الرقص الادبي يصلح الامة ؟ أتظنه يسر جيش الاحتلال ؟ اذا كنت راغباً بالجلاء فاعرض عَلَى اصحابنا الانكليز هذه الرقصة · نبه الحزب الوطني اليها ·

— لا تعجبني هذه المداعبة منك · فان رقصاً عارياً من الخلاعة ····

— لا ينفعنا ولا ينفع البلاد · ابناء القاهرة لا يقبلون عَلَى مثله وعساكر

الانكليز يفرون هاربين منه · وان اقبلوا عليه بادئ بدء فلا يلبثون ان يملوه· رقص هذه الفتاة يخاطب العقل · والمصريون يودعون عقولهم في البيت قبل ان يشرفوا « الكازينو » والجندي الانكليزي — ولكنه سبحانه تعالى لا يُثقل الجندي عقلاً

— عَلَى رأسي رأيك في الجندي · ولكني لست من رأيك في الفتاة · فان في رقصها السحر الحلال · يعبث بالقلوب ولا يستأذن العقول · وما قولك بالراقصات الروميات عندنا · فان رقصهن عارٍ من رغبة الناس من مظاهر الخلاعة ويكاد يكون بليداً ومع ذلك فالاقبال عليهن عظيم ·

— لانهن افرنجيات يا اخي يا محيي الدين · نفاية الافرنج هي اعلاق في ذي البلاد · خرز اوربا هو في نظر المصريين بل الشرقيين درر غوالي · صل عَلَى النبي ! ولا يفوتنك ان الراقصات الروميات لا يكسفن « البلديات» عندنا · كلهن افرنجيات ومصريات من طبقة واحدة فناً وعقلاً وحسناً · وان شئت قل من طبقة وسطى او واطية في الفن والعقل والحسن · وجمهور الناس من ذي الطبقة · اما الخاصة فحسبهم ليلة واحدة من الرقص الادبي في السنة · حسبهم « البالو » الخديوية · لا · لا · لا وسط عند هذه الفتاة الناصرية ولا وسط في نصيب مديرها منها

فرفع الحاج العمامة فوق جبينه عجباً وهو يزلق بنظره عاطف بك الذي استمر يتكلم غير حافل فقال مكملاً الجملة — فاما ان تكسره واما ان تغنيه · فلاح الارتياح اذ ذاك في وجهه وقال — ولماذا لا نختبرها اسبوعاً

واحداً او اسبوعين ؟ اذا كنا لا نقدم لابناء بلدنا الجميل من الفن فكيف لهم بمعرفته ؟ وليس من العدل ان نحكم عليهم بفساد الذوق قبل ان نختبر ذوقهم ·

— انا عالم يا محيي الدين بما يجول في صدرك · صل عَلَى النبي ! ولكن ظهور الناصرية عَلَى مسرح « الكازينو » يغير خطتنا تماماً · فنفقد الزبائن الذين لا يروقهم غير رقص ال... الرقص الذي يخاطب الحواس بالقلم العريض · وجيش الاحتلال في البلاد يزداد يوماً فيوماً · ولا نعلم ما نكسب من الطبقة الراقية · لو كنت مدير « تياتر » في اوربا لما ترددت والله ترددي الان · فلا انكر ان في منشأ الفتاة وفي فنها وجمالها وطموحها وهوسها ما يسترعي الانظار · لست بجاهل عالم التمثيل في اوربا · ولقد احطت علماً بطرق المدراء هناك وحيلهم · وكأني باحدهم وقد حظي بلقاء هذه الفتاة الناصرية وادرك السر في امرها وفنها يعلن عنها بالخط العريض فيقول — الناصرة منذ الفين سنة والناصرة اليوم مهد الدين ومهد الرقص · مريم الناصرية ترقص رقصة المريمات في اسبوع الالام ! ! ولكن بلادنا بلاد اسلامية · فلا ذاك الدين قبلت ولا ذا الرقص تقبل اليوم

— انت مخطىء في ظنك · عليّ الخسارة اثناء اسبوعين نختبر الناصرية ورقصها · عليّ وحدي ·

— ليست جارية تتاجر بها يا محيي الدين · وقد ظهر لي من حديثها ونظراتها انها صعبة المراس حادة المزاج

— عَلَى عاتقي امرها ·

— واذا مثلت لك السماويات في رقصها ...

— والجهنميات ايضاً فانا المسئول

— وانا قابل · ليكن ما تشاء · وان شئت ان تدخلها حريمك بعد ان تمتحنها في « الكازينو »

— دعنا من ذا الهذر يا اخي ·

— بل هذا جد مني · فقد اهنتها في حديثك فاغرورقت عيناها وهذا دليل واضح انها احبتك · عشقتك ·

— انا اعلم بحيل اللقيطات الشريدات

— نعمتَ بعلمك ·

. . . . .

اما مريم فعادت الى منزلها بعد ان قابلت صاحب « الكازينو » ومديرها لتفتش عن الكتاب الذي اعطتها اياه مدام لامار الى جمال الدين باشا احد مدراء البنك الفرنساوي في القاهرة · وكانت قد اهملت هذا الكتاب لانها لم تشأ ان ترجع الى الخدمة في البيوت وآلت عَلَى نفسها وان كُسرت في باريس ان تفوز في مصر · فزارت عند وصولها الكازينو لتشاهد ما هو معروض عَلَى مسرحها فتعرف محلها من الاعراب فيها · فسرّها ما شاهدت وساءها معاً · وقالت وهي خارجة — ها هنا رزقي · ها هنا بداءة حياتي الفنية · ها هنا فوزي · ولكنها اقرت لنفسها بعد المقابلة في اليوم الثاني ان لم تزل

الاحلام تخدعها . وكانت تظن ان مدراء التياترات في مصر اسهل مراساً منهم في باريس . ولم يخطر في بالها انهم اكثر تعنتاً واقل ادباً ومعروفاً . فقالت تخاطب نفسها وهي تفتش في حقيبتها عن كتاب مدام لامار – وماذا يهم اذا المدير فحص الراقصة كما لو كانت جارية معروضة في سوق النخاسة أو جسها كما لو كانت شاة ، او امرها ان تمثل امامه عارية ، فهو لا يهينها ولا يحتقرها اذا كانت يتيمة او بائسة مثلي . وهنا في بلادي يهينني المدير ويشيعني الى الباب . لو استطعت والله لذبحته ! لذبحته ! ابن ستين كلب يعيرني بأصلي – اصلي ! اصلي ?

وقفت مريم فجأة تسائل نفسها فابكاها السوءال . ذكرت لاول مرة ابويها فحرقتها الذكرى . خنقتها العبرات . وقد يستغرب القارىء قولنا انها لم تذكر ابويها حتى الان . وقد نكون اخطأنا التعبير . لما كانت مريم في الدير ادركت غامض اصلها ولكنها اقامت هناك وكثيرات مثلها فلم تبالي . ولم تذكر والديها شوقاً وحناناً . وبعد ان خرجت من الدير اقامت في بيت مبارك وفي ظل القس جبرائيل خلية البال ، مشتتة الآمال . فلقيت من الاعزاز ما اشغل نفسها عن الاكرام . ومدام لامار لكرم في اخلاقها تجاهلت ما ادركته من اصل الفتاة لكي لا تهينها ولا تذلها . وكذلك نجيب مراد فلم يفه مرة بكلمة يشتم منها معرفة ما يحزن مريم ذكره . ولا سئلت مرة في باريس عن اصلها ولا نظر احد اليها شذراً وازدراء .

واما الان فصاحب الكازينو المعجب بفنها وبحسنها وبمواهبها يخشن لها

الكلام في اول مقابلة وينظر اليها نظرة الازدراء وقد مازجها السرور والرضا كأنه يقول – انتِ في قبضتي ولا بأس بك . فادركت لاول مرة ان من الرجال من ينظرون اليها كأنها غنيمة باردة . فساحت بها الافكار الى باريس ثانية فجمعتها هناك بنجيب مراد – ذاك الذي احبها كما تحب الفراشة الزهور او الفارس الجياد . فجعلت تقابل بين الاثنين وتقول – شتان بين من يخدع فتاة ويكرمها ومن يهينها ويخدعها . شتان بين اديب دقيق الحيل كريم النفس وجلف غليظ الرقبة غليظ الشفتين . كرهته لاول نظرة قبل ان يفوه بكلمة . وبعد انتكلم وددته ميتاً عند قدمي . ميتاً . ميتاً . سيعلم ابن الكلب

ان الفتى من يقول ها انا ذا   ليس الفتى من يقول كان ابي

أو لا يحق للفتاة البائسة مثلي ان تتمثل بقول الشاعر كالفتيان ?

لا تقل اصلي وفصلي ابداً   انما اصل الفتى ما قد حصل

واصل الفتاة ايضاً . اصل الفتاة ايضاً ما قد حصلت .

وهذا ينبغي ان يكون ولكن الكائن اليوم غير ذلك . وان عقيدة الناس الاجتماعية بمريم وامثالها لمثل عقائدهم الدينية قديمة العهد ، كثيرة العهود والقيود . والمتمردون عليها ينفعون المجتمع الانساني وقلما يسعدون

نوّرت نفس مريم في بلاد الجليل فاستمدت حياة من تربة رباها وهواء حقولها ، ومياه عيونها ، وسماء بحيرتها ، وجمال مروجها ، واريج احراجها فكانت وردة برية سماوية تليق ان يزين بها الناسك مذبح أله . ونفس مريم

التي بدأت تنور في المدن في معترك الحياة ترويها مياه الاجتماع الآسنة ويغذيها هواء التمدن الفاسد جعلت تنمو كزهرة الازاليا كبيرة ، قوية ، قانية ، شديد ساقها ، متينة بتيلاتها ، قليل ، وا اسفاه عبيرها · وقد أثرت فيها الخيبة اكثر من سواها · فغيرت الجفوة طباعها · وضاعف الفشل نور الازاليا في قلبها · فقد كانت مستهترة في حبها — مستهترة كوردة الحقل لا تروعها هبوب الرياح ، ولا ظلمات الليالي · فاصبح قلبها كالازاهر الجوية التي نصونها تارة من نور الشمس وتارة من الظل وطوراً من الهواء · أدركت مريم هذه الحقيقة ولم تدرك بعد كيفية العمل بها · فتعرض ازاهر نفسها الى الشمس والى الظل والى الهواء في الاوقات اللازمة النافعة · ولا مشاحة ان العمل جهلاً اسهل من العمل علماً · وقد يشفي هذا حيناً ويسعد ذاك احياناً · وان تحب الفتاة وتستسلم خير لها من ان تحب وتتردد · وان عذابها وهي تحب راغبة طائشة لاقل منه وهي تحب خائفة مرتابة محتقرة كارهة · والحق يقال ان قد دخلت مريم في هذا الطور المحزن من اطوار الحب · ولم ترفع فوق مدارجه السوداء غير واحد في العالم هو القس جبرائيل ·

— ربي ! وهل القس جبرائيل ابي وهل يحب الاب ابنته اكثر من حب الراهب فتاة لقيطة ؟ أيستطيع ان يزيد ابي عَلَى ما اسلفني القس جبرائيل من الصنع الجميل والمعروف والاحسان ؟ بل لو كان ابي عالماً بي وبسقوطي تلك السقطة المهلكة أكان ينقذني يا ترى من البلاء والعار ؟ أيرعاني ابي ويكرمني ويحبني كما رعاني القس جبرائيل واكرمني وخدمني واحبني ؟ لا

اظن ذلك · لا · لا · بل كان يطردني من بيته لو علم بذنبي الذي هو ذنب غيري · ويلاه ! ما امر الحياة ! الحق معك يا قس جبرائيل الحق معك ·

واخذت الذخيرة وطفقت تقبلها وتبكي

— ابي · ابي · اين انت تحميني من الذئاب البشرية ؟ آه يا قس جبرائيل حبذا انت قريباً · لا · لا · مستحيل ان يكون ابي · فلو كان ما رمى بولدي في البحيرة · ولدي ! وهل انا اعلم بتصاريف الزمان واسرار التقادير من حمام البحيرة واسماكها ؟ لا تكره شيئاً لعله خير · انا الان اسعى لنفسي واكاد اهلك جوعاً · ولدي ! لقد اغناه الله من شقآء الحياة · ووالدي ? مالي ووالدي فلا شك انه اجرم عَلَى امي كما أجرم عليَّ · قد تكون امي خدعت كما خُدعت ، وأذلت كما أذللت ، وشقيت كما شقيت · اواه ! امي اين انت الان ؟ أفي عالم الاحيآء انت ام في عالم الاموات ؟ امي ليتك قربي تأخذين بيدي الان ، ترشديني ، تسليني ، تدفئين نفسي ، تجبرين قلبي الكسير ، تشفين غليلي بقبلاتك وبكلماتك ، تعلميني الكلمة التي فيها صيانة عرضي وصيانة اسمك ·

قضت مريم تلك الليلة اسيرة الهموم والاحزان · فخلعت ثيابها وهي تحن شوقاً الى امها · واطفأت القنديل وهي تلعن من اهانها

وفي تلك الليلة حلمت حلماً رأت فيه امها وسمعتها تقول — اخرجي من القاهرة · عودي الى فلسطين · اقيمي في ظل القس جبرائيل · ولكنه حلم من الاحلام فلم تحفل به · ونهضت صباح اليوم التالي ترتدي ثيابها لتذهب

الى البنك الفرنساوي تطلب مقابلة جمال الدين باشا . فقد وطنت النفس على ان تقيم في القاهرة ولو خادمة في بادىء امرها او معلمة او مربية . اقلعت مكرهة من جون الامال تسلم الى الحاجة شراعها . وهي تعلل النفس بالعود القريب . والفوز العجيب . واما الان وقد نفد مالها فلا بدّ من السعي في غير السبيل سبيل المجد . وقد ينفعها الان كتاب التوصية الذي بيدها . وبين هي خارجة من منزلها تقصد البنك الافرنسي التقت في الباب بصاحب الكازينو الحاج محيي الدين فوقفت سامدة الرأس مدهوشة .

— اريد مقابلتك يا ست مريم

— تفضل .

— أعلى الرصيف ? أفي الشارع تقابلين من يحمل اليك الاخبار السارة ?

— أو مثلك يحمل الى مثلي اخباراً سارّة ?

— لا تؤاخذيني . فقد بدر مني البارح ما اسفت له .

— عذرك مقبول . وماذا عندك غير الاعتذار ? ماذا تريد ?

— اريد صالحك .

— كثر الله خيرك . صالحي الان بيدي . وهمت مريم بالذهاب

— كلمة واحدة لابرهن لك في الاقل على حسن نيتي ورغبتي في قضاء حاجتك . وفي خدمتك .

فوقفت اذ ذاك مريم كأن خطر لها خاطر غيّر لهجتها وخطتها .

— تفضل . تكلم .

فمال الحاج محيي الدين برأسه ينظر اليها متبرماً ويشير باسطاً ذراعيه الى الباب .

— لا حول ولا . تفضل .

فمشى الحاج في الزقاق وراءها فوقفت امام الباب باب غرفتها ففتحته وهي تقول — تفضل . إدخل واجلس ريثما اجيئك بعلبة السكاير .

— لا لزوم للسيكارة يا ست مريم

فلم تحفل مريم برجائه بل ذهبت تسر الى البربري خادم البيت كلمة وعادت تقدم الى ضيفها سيكارة . وتقول

— ارجوك ان تجلس . وظلت هي واقفة قريب الباب المفتوح .

— اعلمي يا ست مريم انني معجب بك وبرقصك وبمواهبك واحب من صميم قلبي ان تظهري عندنا في الكازينو . وقد تباحثت وشريكي في شأنك بعد رجوعك --

وسكت فجأة يحدجها بناظريه . فابتسمت مريم شاكرة

— وسيكون لك ما ترغبين اذا ...

ووقف اذ ذاك الحاج محيي الدين يخطو نحو مريم خطوات ادركت سرها . فلاقته بكرسي تقدمها ملاطفة وتقول -- تفضل اجلس فازاح الحاج الكرسي وتقدم نحو الباب ليرمي سيكارته خارجاً . فأدهشته مريم اذ اسرعت الى الباب وهي تقول — ارجوك. لا تكلف نفسك . انا اغلق الباب

وغلقت مريم الباب ووقفت في وسط الغرفة تنظر الى الزائر ولا تبدو

حراكاً . فدنا منها معجباً بهذه الحركة وهذا اللطف وقبض عَلَى يدها بيسراه.
يداعب بيمناه خدها .

فاحست مريم كأن علقات تسرح في وجهها ولكنهــا وقفت متجلدة كالتمثال .

— لا تخافي . انا صديقك . وستكونين في « الكازينو » تحت رعايتي فلا يعتريكِ ريب من ذلك .

فتجلدت مريم وهي تحاول اخفآء اضطرابها وقالت ملاطفة

— هذا جميل منك .

وقرع اذ ذاك الباب قارع فتظاهرت بالرعب وبعدت عنه تتنفس سراً الصعداء . فعاد الحاج محيي الدين الى الديوان يشعل سيكارة

فتحت مريم الباب . فدخل الخادم قائلاً

— رسول من البنك الفرنساوي يقول ان المدير يقابلك اليوم الساعة العاشرة افرنجية .

— ويلي ! قد فات الوقت . اعذرني ، يا سيدي محيي الدين . اعذرني اليوم . لي عند المدير حاجة تقضي عليَّ ان اقابله حالاً .

ومدت اليه يدهــا غانجة باسمة فصافحها ثم ربتها . وخرجت واياه يتحدثان في ما يختص بظهورها عَلَى مسرح الكازينو وبراتبها . ثم ودَّعها عند الباب قائلاً

— سأراكِ غداً فتوقعين عَلَى الوثيقة .

— غداً ان شاء الله اتشرف بزيارتكم في « الكازينو »

— لا بل انا اتشرف بزيارتك والوثيقة في جيبي

— كما تريد . اتوقع قدومك صباحاً في مثل هذا الوقت .

وافترق الاثنان وكلاهما راضٍ بما كان . ولم يكن سرور مريم بما انقلب في تيار حظها اشد من سرور الحاج بما ظنه فوزاً في غزوته الاولى . ولكن الفتاة جعلت تفكر في حيلة اخرى تخلصها من مخلصها الى ان يتم لها مـا تريد — الى ان تستلم الوثيقة منه . ولم يضطرها الامر الى كثير تفكير لان خبرتها في باريس تلبي الان طلبها .

ولما جآء الحاج محيي الدين صباح اليوم الثاني دهش لوجود رجل آخر عند مريم . فطمأنت باله قائلة بعد ان رحبت به

— حضرته مدير المقاولات

— صحيح . صحيح . لقد فاتني امره

وجلس عَلَى الديوان يعد سبحته ويستغفر الله . ثم استخرج من جيبه الوثيقة فقدَّم منها نسخة الى مريم لتوقع عليها ففعلت . ثم وقَّع عليها مدير المقاولات واعادها الى محيي الدين فقدم اليها نسخة اخرى وقد وقَّع عليها هو وشريكه.
وبعد انجاز العمل جآء الخادم بالقهوة والسكاير . وجلست مريم تحدث زائريها بما رأته من جمال مصر . ثم قال مدير المقاولات وهو ينظر الى ساعته

— اذا احببتِ ان اشيعك الى البنك يا ست مريم فالوقت قد حان . تفضلي .

— قد فاتني ذلك . اشكرك لتذكيرك اياي . ولكني لا اكلفك ...

فقاطعها المدير قائلاً

— ليس في الامر ثقلة . فان مكتبي في تلك الناحية والعربة تنتظرني

— لا تؤاخذني يا سيدي محيي الدين . يظهر ان حاجة في البنك بهذه البلد لا تُقضى بيوم او بيومين . وقد وعدت المدير ان اقابله اليوم ايضاً.

ولبست مريم قبعتها وعمدت الى شمسيتها تتكئ عليها وتقول

— الامر هام جداً يا سيدي . ولا أعلم كيف أكفر عن سوء ادبي . يا للفضيحة ويا للعار ! عذراً أرجوك . فالعذر من شيم الكرام . وغداً اقابلك ان شاء الله .

فاضطرب الحاج محيي الدين ولم يفه بكلمة جواباً . ولكنه أخذ يد مريم الممدودة اليه فصافحها . وأحس بنظرة من نظراتها تخرق كالشرارة فؤاده ، فزادت بنار وجده اضطراماً .

وفي ذلك الاسبوع كانت تذهب مريم الى الكازينو كل يوم لتتمرن عَلَى الرقص . وكانت تلجأ الى أدق الحيل لتتخلص من أشراك الحاج محيي الدين . أما عاطف بك فأحسن معاملتها وبالغ باكرامها . واشار عليها ان تغير اسمها لان مريم اسم عادي ، بل اسم مسيحي . ولا يستوقف الانظار ، ولا يليق براقصة . فاقترح عليها اسم « غصن البان » فقبلت مريم الاقتراح

وبينا هي عائدة الى منزلها بعد ظهورها عَلَى مسرح الكازينو الليلة الاولى لاح لها قرب بابها شخص تحققت من عمامته الخضراء ورأسه الكبير انه الحاج

محيي الدين . وكان قد سبقها الى منزلها تلك الليلة ولبث ينتظر قدومها فأمرت الحوذي من ساعتها ان يستمر سائقاً . فمرت العربة مسرعة امام بابها وهي متوارية فيها يحجب « الكبوت » وجهها . فلم يرها الحاج المطارد . وظل ينتظر في قهوة قرب ذاك المنزل حتى الساعة الاولى بعد نصف الليل . فعاد بعدئذٍ الى بيته يصر اسنانه غيظاً ويقول

— أبنت بنت الكلب تخدعني ؟ أتصدني وترغب بغيري ؟ أتتفلت من يدي فتعلق عَلَى دبق الاوغاد ؟ فلا شك انها في احدى الحانات الان تشارب وتداعب اجلاف جيش الاحتلال . بنت ستين كلب ! ستندم والله عَلَى فعلتها . ستندم ولا ينفعها الندم .

أما مريم وان ازعجتها مباغتة الحاج فلم ترعها ، ولا اعترضت سرعة خاطرها ، ولا أفسدت عليها صفاء نفس ذاقت لاول مرة لذة الفوز في سعيها . ولما سألها الحوذي — الى اين يا ست ؟ بعد ان اجتازت العربة الشارع المقيمة فيه اجابته عَلَى الفور — الى الجيزة — الى الاهرام

ورضيت بعد الفكرة ببداهتها لان الليلة ، وان لم تكن مقمرة فقد كانت ناعمة منعشة ، خفيف ظلها ، عليل هواءها . فراح الحوذي يحث بالسوط خيله ، ومريم تقول في نفسها — نزهة ساعة فيفرجها الله

ولكن بعد ان اجتازت العربة كبري النيل ملكها وهم مخيف لعلمها انها وحدها . وفكرت بما احتالت به عَلَى الحاج محيي الدين فظنت انه رآها لما مرّت امام بابها وانه الان يقتفي اثرها . فسألت الحوذي خائفة

— أترى عربة وراءنا ؟ فقال — لا · فقالت — قف قليلاً ·

واصغت ثم قالت — ان عربة وراءنا قريبة منا · اسرع · اسرع ·

فامتثل الحوذي امرها · ودخلت العربة مسرعة في طريق الاهرام الجميلة بين صفين من شجر السنط والكينا تحت قناطر من اغصانها المتعانقة ، ولا صوت يزعج سكينة الليل غير صوت حوافر الخيل العادية ·

وما هي الا برهة حتى رُفع الى مريم خيال الهرم الاسود كأنه قبع الخفاء على رأس الصحراء · فاوقفت الحوذي ثانيـة وهي لم تزل اسيرة الرعب والاوهام وسألته

— وهل من مبيت عند الاهرام ؟

— هناك نزل جميل يا ستي

— حسن · اسرع · اسرع ·

وبعد قليل وقفت العربة قدام النزل عَلَى حدود البادية فترجلت مريم والخوف والجرأة يتناوبانها · فاذا هي لاول مرة امام الهرم الكبير الواقف كطود من الظلمة في بحر من الرمل راقدة امواجه ، تحت سماء هجرتها نجومها ، بل هو قلب الليل وقد جسمه الزمان ، فهالها خياله ، وهالها ظلامه ، وهالتها الوحشة المخيمة حوله وفوقه — وحشة البادية ، ووحشة الليالي ، ووحشة الاجيال والازمنة ·

ومع ذلك فقد احبت مريم ان تشاهده قريباً في تلك الساعة فسألت الحوذي ان يرافقها · فتردد خائفاً ·

— ما بالك ·

— مالنا وله يا ست · الهرم يتكلم في الليل · وربي الموتى فيه ينهضون ليلاً ليتنزهوا عَلَى الرمال وحق النبي !

— كلام صبيان · امشِ معي · امشِ قدامي ·

فخجل الحوذي ومشى متردداً في الطريق التي توصل الى الهرم الكبير وهو حائر في امر هذه السيدة معجب بشجاعتها واقدامها · وبينا هو صاعد في الدرجات تعثر بشيء صرخ بين قدميه فهلع قلبه ورجع ادراجه · فنهض الحمّار الذي كان نائماً هناك مذعوراً ينادي رفيقه حمّاراً آخر نائماً قربه يدعى محيي الدين ·

— يا محيي الدين · يا محيي الدين ·

فوقفت مريم مبهوتة لاستماع هذا الاسم هناك وعادت تسارع الى العربة وتسائل نفسها قائلة — كيف سبقنا اللعين كيف سبقنا الى الاهرام · ثم امرت الحوذي ان يعود الى البلد مسرعاً ·

— قلت لكِ يا ست ان الهرم يتكلم وان الموتى فيه يخرجون ليلاً للنزهة · وحق النبي ان من تعثرت به منهم ·

وسقط بسوطه عَلَى الخيل يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم

ومريم قد اخذتها الرعبة وملكها مما توهمته الخوف باتت تلك الليلة وطيف مخيف ، طيف الحاج محيي الدين يلازمها في يقظتها ويطاردها في نومها ·

—(الفصل الخامس عشر)—

الرقص فن من الفنون الجميلة تتحرّك النفس في السامي من انواعه قبل ان يتحرك الجسد · ترفعه العفة ، فتحطه الخلاعة · تزينه حركة ، فتشينه حركات · يعززه الذكاء اذا قرن الى رقة وكياسة ، وتفسده الخفة اذا قرنت الى فواحش الفكر وسوافل الحواس ·

الرقص سراج وهّاج يبهر فيسحر · وهو شعلة نار تحرق ولا تنير · هو وحشي اذا ملكته الربلات وسادته الجوارح · وهو سماوي اذا استخدمت هذه فيه كما يستخدم الرسام الالوان والشاعر الالفاظ والقوافي · فاية ذات نهدين يا ترى لا تستطيع ان ترجرج صدرها وتذبذب اردافها فتهيج الحيوان في الانسان ؟ ولكن راقصة ترفع بك الى ما فوق المبتذل من الشهوات دون ان تلجأ الى المتبذل من حركات الراقصات ، فتشخص اليها مبهوراً مسحوراً خاشعاً ، وقد نسيت ذاتك الحيوانية السافلة ، لاجدر ان تعد من ارباب الفنون بل من نوابغ الدنيا ·

ورقص غصن البان الذي لم يشاهد مثله في القاهرة ابهر ابهاراً عَلَى ما في بعض مظاهره من ركاكة لا تواخذ بها المبتدئات · فصفق الناس لها اول ليلة بدت امامهم واستعادوها مراراً · وما لبثت ان حققت قول الحاج محيي الدين وظنه · ولم يكن الحاج ليود ان يحقق شيء من ذلك بعد ان اخفق

سعياً في مطاردة غصن البان · فكيف له الان بطردها انتقاماً منها عَلَى صدها واستكبارها وقد صارت للكازينو مورد رزق عميم · واصبحت في مصر اشهر من اهرامها فكثر المعجبون بها ، الخاطبون ودّها ، المتغزلون بجمالها ، العاشقون فنها وحسنها · غصن البان حديث القهاوي والحانات بل حديث المجالس والدواوين · فقد كان استحسان الحاج رقصها رمية من غير رامٍ · وصار يود اذلالها بل اهلاكها · ولكنه تمالك نفسه واتخذ خطة في معاملتها جديدة · وهو يقول في نفسه — لقد اصبحت ولي نعمة من كانت ولية نعمتي

والحاج محيي الدين يدرك الحقيقة ولا يموه عَلَى نفسه فيها · فقد ادرك ان غصن البان اكسبت الكازينو شهرة ادبية فصار يوءمها الطبقة الراقية من اصحاب الكياسة والذوق والادب · والمدير عاطف بك رفع اسعار تذاكر الدخول لتليق بهذه الطبقة الرفيعة من الناس فتضاعف ايراد الكازينو وتضاعف مع ذلك الحضور · حتى ان النسآء كنّ يستصحبنَ بناتهنّ (لسنا متأكدين هذا الخبر لاننا ننقله عن صحف الاخبار) ليشاهدن رقص غصن البان « السامي فناً ، الحلال سحراً ، العاري من الخلاعة ، المجرَّد من فواحش الاشارات والحركات » ثم اثنت الجريدة التي اقتبسنا منها هذه الكلمات عَلَى صاحب الكازينو الحاج محيي الدين « الذي لا يألو جهداً في البحث عما يهذب النفس ويرقي الاخلاق فيعرضه للناس مهما كلفه ذلك حباً بتطهير المسارح والمراقص من اسافل الخلاعات ، بل غيرة عَلَى ذوق الامة من ان يعتريه الفساد »

وقد افاضت الجرائد في الموضوع فتحمس الكتاب والشعراء واغرقوا في

الثناء عَلَى الكازينو وربة الرقص فيها وفي الطعن عَلَى بقية المراقص في البلد والراقصات ·

« ان في رقص غصن البان لسحر القريض ، وشجي الانغـام ، وبلاغة البلغاء ، ودقة النقاشين ، بل في رقصها نفحات من قداسة الايمان واحداء جميلة من تراتيل العذارى في هياكل اليونان »

هذا ما قاله احد شعراء مصر الشهيرين مصباح افندي لما وقف في اللوج ذات ليلة يتلو قصيدة من نظمه في مديح غصن البان وفنها الجميل العجيب ولما قابلها تلك الليلة قبل يدها قائلاً — بل ينبغي ان اقبل رجليك فانك لتنظمين بهما شعراً وانغاماً وصوراً يعجز دونها قريحة الشاعر وبنان الموسيقي وريشة الرسام »

فقالت غصن البان ودموع الفرح تغشي عينيها — لا اكلفك الى ذلك ، بل ارضى منك بقصيدة تقص فيها قصة محزنة قصة فتاة وحيدة مثلاً تحب الحياة حباً جميلاً وتسترسل في تيارها مستهترة ، فتذوق شيئاً من حلوها واشياء من مرها كثيرة ، فأتلوها عَلَى الناس ، بل امثلها راقصة ·

فلبى الشاعر طلبها واعلنت الكازينو ان غصن البان ستتلو عَلَى الحضور قصيدة غراء من نظم الشاعر الشهير مصباح افندي · وطبعت ادارة الكازينو مئات من تلك القصيدة لتوزع عَلَى الحضور فظن الناس ان غصن البان ستتلو القصيدة كما يتبادر الى الذهن · وقالوا — ولا غروَ اذا ابدعت في الالقاء والتمثيل كما تبدع في الرقص ·

ومن عجائب نبوغ غصن البان انها تولت بنفسها ادارة الموسيقى لرقصتها الجديدة · فكانت في اوقات التمرين تعلم الجوق معاني حركاتها واسرار وقفاتها ونبراتها ونقلاتها · فيصحبها العود والكمنجة بما يلائم من الانغام · وكانت اذا شاءت ان تعبر عن الفرح برقصها تسكت الكمنجة وتدير بقية الالات ناصحة معلمة قائلة — هذا بطيء · هذا بليد · اسرع يا عوَّاد ولا تتبالد · اضرب الاوتار ولا تخشَ ان تكسر الريشة »

ثم اذا مثلت دور الحزن تُسكت العود وترقص عَلَى انغام الكمنجة الرخيمة حتى اذا وصلت الى سكرة الحب توعز الى صاحبي الدف والقانون ان يشاركا بقية الجوقة ·

غصن البان مخترعة الانغام ! هذه من مظاهر ذكائها التي لم يكن احد ليتوقعها · فادهشت مدير الكازينو وصاحبها · وادهشت كذلك الموسيقيين وفي تلك الليلة وقف الشاعر عَلَى المسرح فتلا قصيدته ثم بدت غصن البان حافية في قميص متسع شفاف مهلهل اذا مسكت طرفيه بيديها المنبسطتين تبدو فيه كالفراشة المجسمة او كطير من اطيار الجنة · فجعلت تتنقل نقلات خفيفة ، بطيئة ، وهي غاضة الطرف ، واجلة القلب ، كأنها تجس الارض جساً او كأنها تكتب برجليها كلمات الحياء والخوف والتردد · فمثلت الابنة الوحيدة الغريبة وهي تدنو من حياة الاجتماع ! من معترك الحياة · فتدخل واجفة واجلة ، فتخف طرباً لاول مشهد تشاهده من مشاهد الانس والسرور ، فتصل تدريجاً وقد رفعت يديها امامها ترقص اناملها النحيفة اللدنة الى جنة

الحب وبهجة اللذات ، والعود والقانون والدف ترافقها بالانغام ، ثم تقف فجأة كمن تحلم حلماً مرعباً فتستفيق مذعورة ، فتسكت آلات الطرب وتسكن جوارح الراقصة ، فتقف اذ ذاك وقفة معناها الاسى ويسمع صوت مغنية وراء الستار تغني بصوت رخيم شجي « يا غزالي كيف عني ابعدوك » وغصن البان تحرك قميصها امام وجهها وحول رأسها كمن تندب حظها ٠ ثم تدخل طوراً آخر عَلَى رنات العود والقانون وهي تتمايل كشجر الحور في فصل الخريف وذراعاها كزنبقتين هزهما النسيم تنقل نقلات كأنها ابيات من ديوان الحماسة ، فترفع ركبة تلو الاخرى حتى قبالة صدرها وهي تهز رأسها وكتفيها مسرعة مقبلة مدبرة ، فتحجب وجهها بطرف قميصها تارة وتارة تبدوه ٠ كأنها تداعب الاقدار ٠ وما هي الا فترة حتى تظهر فيها راقصة الهيكل غانجة راغبة هائجة ٠ فيحل شعرها الاسود فيتماوج عَلَى منكبيها وجوانبها وتحتدم النار في عينيها فتبدو كأميرة الجان متمردة عَلَى القضاء فتشرب كأس الغرام ثانية حتى الثمالة وتتوارى انغام الكمنجة في نقرات الدف ورنات العود والقانون وتمسي حركات غصن البان ارتجاجاً متواصلاً كارتجاج النور او الاثير لا يفصل بين الواحدة والاخرى فاصل ما كأن نفسها ترقص في الفضاء امامها وجوارحها كلها تتسابق اليها في سكرة الحياة بل في رقصة الموت ٠ وتتوارى قليلاً قليلاً وهي شاردة مفترّة ، جامحة ، سافنة ٠

فضجت التياترو بالتصفيق وهتاف الاعجاب

— أحسنتِ أحسنت ! يُعاد ! يُعاد ! برافو ، برافو ٠ كمان كمان ٠

واستعيدت غصن البان مرات عديدة تلك الليلة ٠

وبعد انتهاء دورها ارتدت ثيابها وقلبها يخفق طرباً وغماً ٠ فبعثت تستدعي مصباح افندي فجاء يهنئها ويقبل يدها ٠ فقالت تخاطبه

-- بل انت اجدر بالتهنئة ٠

— هذا من لطفك ٠ ولكنك ربة الفن ٠ وما انا الا واحد من عبادك ٠ سحرتِ الناس ٠ فتنتِ الناس ٠ تيمت الناس ٠

— ولكني يا مصباح منقبضة النفس ٠ الكآبة تملأ قلبي ٠ أفرغت نفسي للناس فلم يبقَ فيها شيء لي ٠ آه ٠ اوآه ٠

فنظر اليها مصباح افندي عاطفاً واجداً ٠

فاخذت غصن البان يده تضغط عليها ثم قالت

— تعال معي ٠

وركبة واياه عربة اوصلتهما الى بيتها ٠ وبينا غصن البان تترجل حانت منها التفاتة فابصرت الحاج محيي الدين واقفاً قريباً يراقبها ومن معها ٠ فهتفت قائلة

— ربي ! ربي ! أيتبعني كظلي ? هذا جزائي ?

والحاج محيي الدين ، وقد ادرك انها رأته يراقبها ، انثنى راجعاً راضياً

— أينغص هذا اللئيم عيشي ? أينكد حياتي الى الابد ?

— من هو يا غصن البان ، من هو ?...

— ادخل ولا تسل . اجلس ، اجلس ايها الشاعر . ما هو الا خيال بل وهم من اوهامي .

وجلست الى جانبه تشخص اليه . ثم قالت

— اسمع . لقد اسكرتُ الناس وانا صاحية . مثلتُ في رقصة الليلة حياتي — حياة هذه الفتاة الجالسة الان الى جانبك ولم يدرك احد ذلك . وماذا يهم الناس ما اقاسي ؟ اسقيهم وانا ظمآنة فيشربون . اطعمهم وانا جائعة فيأكلون . ارقص لهم وانا حزينة فيطربون . وجزائي ما هو جزائي ؟ صياد يخيم علَى قلبي ، يتبعني كظلي ، ينكد عيشي ، يتعقبني كأني مجرمة اثيمة . هذا الشيطان الذي يملأ جيبه من مالي ويملأ نفسي غماً . صرت أخشى ، يا مصباح ، ان اختلي بنفسي . اغمض طرفي فأراه امامي ، افتح عيني فأراه يطاردني . ويلاه ، ويلاه !

— ومن هو يا غصن البان ؟ قولي من هو فاريحك منه ان شاء الله

— لا . لا . مالنا وله ! اشعل السيكارة .

وضربت كفاً علَى كف فحضرت الخادمة

— أتشاركني في زجاجة من الخمر أو تفضل مشروبك الوسكي والسودا ؟

— لا أطلق الوسكي والسودا .

ليكن ما تشاء . وبعد قليل جاءت الخادمة تدعو سيدتها الى غرفة المائدة فدخلت ومصباح افندي فاكلا مما أعدته لتلك الساعة من الاطعمة الباردة وشربا بضع كؤوس ثم تناولا القهوة وعادا الى الردهة وغصن البان تقول

— ألا يحق لمن تطرب الناس ان تذوق من الطرب شيئاً يسيراً ؟ ألا يحق للساقي ان يرشف ولو ثمالة الكأس ؟

فهتف مصباح افندي قائلاً

— ووالله لافرغن نفسي في كأسك ايها الساقي .

— ايها الشاعر الحبيب ، انت عزيز ، انت جميل ، انت لذيذ ، انت وان سكتَّ مطرب . نفسك أعانقها . نفسك اعبدها . نفسك ترقص الان امامي كما رقصتُ منذ ساعة امام الناس . في عينيك وفي شعرك انغام شجية . أسمعها اذا لمست شعرك . في اناملك ، في فمك ، في ساعدك ما يبهج قلبي الان ويطرب نفسي ويسكر كل جوارحي . لا تقبل عيني . لا تقبل خدي . لا تقبل عنقي آه — انت جميل ايها الشاعر ، انت جميل .

— وانت في حديثك كما انت في رقصك فتانة ساحرة . انا عبدك . انا من عبادك . انا اسير حبك . ثغرك — آه ما ألذ ثغرك !

— وغداً تكرهني ، غداً تنقلب عليَّ . لا يهمني . لا يهمني . انت الليلة لي وحدي . كلك ، كلك لي . وهذا حقي ايها الشاعر ، هذا حقي . والا فكيف يمكنني ان اطرب الناس وهم يسألونني حقهم كل ليلة . فان لم املأ النفس التي افرغتها — ان لم أغذِ القلب الذي بذلته فكيف يمكنني ان أؤدي الى الناس حقهم غداً ؟ لا اعرف ما تفعل غيري من النساء اذا وجدن في حالتي . ولكن ما تفعله غيري لا يهمني . اظنني اعرف ما اريد ، ما احب

وما اكره · والى ان ينقضي اجلي سأعيش لما احب ولمن احب · وأفر هاربة مما لا أحب وممن يكرهه قلبي ·

وجثت اذ ذاك امام مصباح تقبل يده وفمه وعينيه وتقول

— انت الليلة حبيبي ، بل انت سيدي · وانا عبدتك ايها الشاعر · نفسك الليلة ترقص لغصن البان · عيناك تبهجان قلبي · شعرك يطرب نفسي · سيدي حبيبي ! غصن البان تجثو امامك وترمي نفسها بين يديك — صه ! لا تفه بكلمة واحدة · لا يعجبني في ذا الوقت حديث الشعراء · انظم غداً ما تريد ان تقوله الليلة وابعث به الي · ابعث القصيدة يا جميل الى من أحبتك الليلة وعشقتك ....

وفي صباح اليوم الثاني قدمت غصن البان الى مصباح افندي دبوساً لربطة الرقبة ذكراً منها وودعته قائلة

— اياك ان تخدع او تطمع بي · وخير لك ان تظل بعيداً عني · الوداع ايها الشاعر ، الوداع ! انسني · اجفني · عقني · وان لم تستطع ذلك فانظم لذكراي قصائد تطرب الناس ·

— جميل والله ان اودعك ضاحكاً ، فان كلامك يضحك · سأراك قريباً

— لا لا لا ·

— سأراك في الكازينو مسآء اليوم · سأراك كل ليلة هناك !

— كما يراني الناس · وما المانع ؟ الوداع · الوداع ·

—(الفصل السادس عشر)—

عند انقضآء فصل الشتآء حسب عاطف بك حسابه فادهشته الارباح ، ولكنه ادرك ان ايراد الكازينو في الاسابيع الاخيرة لم يكن كذي قبل ، بل بدأ ينقص قليلاً ·

— ما قولك يا محيي الدين ؟ لا اظن الناس يقبلون على غصن البان في الموسم القادم كما اقبلوا عليها هذه السنة ·

— هذا من باب الحدس والظن · غصن البان متفننة جداً · وقد تجيئنا السنة القادمة برقص جديد · ليس من رأيي ان نتنازل عنها ·

فقال عاطف بك وهو يفتل شاربه مبتسماً

— لا أسألك ان تتنازل عنها ولكن الكازينو ...

— دعنا من المزح · سأسافر هذا الصيف الى سوريا ولبنان —

— وتستصحبها ؟ لله درك !

— بل اتركها لك في مصر وكي لا تتفلت من يدنا ينبغي ان تجدد الوثيقة معها · واسألك اكراماً لي ان تكرمها وتقضي لها ما تسألك قضاءه من الحاجات

— هي الآن بغنى عني وعنك ·

— وهذا السبب في وجوب اكرامنا

— اذا كان المرء بغنى عنك فاكرامك له تزلف اليه

— ليكن ذلك . المصلحة يا عاطف بك المصلحة

— صل علَيها وعلَى النبي . ليكن ما تريد .

وكذلك كان . جددت الوثيقة . وقضت غصن البان بعض اشهر الصيف في الرمل بالاسكندرية وبعضها في حلوان . وسافر الحاج محيي الدين الى سوريا ولبنان وعرج في عودته علَى حيفا فزار الناصرة وتوصل بعد البحث الى مقابلة الست هند قرينة صاحب الفضيلة يوسف افندي مبارك . وعاد الى مصر مسروراً بما علم من سيرة مريم الخادمة سابقاً ، الراقصة الشهيرة الان

وفي ذات يوم بعد ان فتحت الكازينو ابوابها لتستأنف غصن البان العمل فيها جآء الحاج محيي الدين يخاطبها فقال —

— قد نوه بك في حضرة افندينا . وقد علمت من صديق لي في المعية ان سموه يرغب باكرامك . وسنسعى جهدنا في ذا السبيل . لانك يا غصن البان اهل لكل اكرام

— اشكرك ياسيدي محيي الدين . وارجوك ان تعذرني ان ترحمني . ان ..

— وما معناك ؟

فشرقت غصن البان بريقها وقالت — ايحتاج مثلك الى الشرح والايضاح ؟ ثم وقفت كانها تتطارد افكارها المتشردة ثم قالت — اعذرني . اعذرني . لا تبال بما قلت . لا توءاخذني .

— ليس ما يستوجب الاعتذار والموءاخذة . انت حرة . وانا من ابناء العصر القائلين بحرية النسآء وليطمئن بالك

الفنون



ايار

السنة الثانية

الجزء الثاني عشر

AL-FUNOON

AN ARABIC REVIEW OF LITERATURE AND ARTS

Published Monthly by

Al-Funoon Publishing Co.

72 Trinity Place

New York

ANNUAL SUBSCRIPTION $5.00

APRIL 1917

VOL. II **NO. 11**

"Entered as second class - matter June 16, 1916, at the Post Office at New York, New York, under the act of March 3, 1879"